

**ذكر شيء من تاريخ تهامة
والسراة في بعض كتب التراث
الإسلامي في الجاهلية والإسلام
(مقتطفات ، واقتباسات) (*)**

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٧ م). (الجزء الثاني عشر)، ص ص ١٣ - ٥٦ . (الطبعة الثانية / ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م)، ص ص ١٣ - ٥٦ .

ثانياً: ذكر شيء من تاريخ تهامة والسراة في بعض كتب التراث الإسلامي في الجاهلية والإسلام (مقتطفات، واقتباسات) .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مدخل	١٣
ثانياً:	صفحات جغرافية وسكانية	١٤
ثالثاً:	شيء من الحياة الدينية والعقائدية	٢٥
رابعاً:	صور من الحياة السياسية	٣٥
خامساً:	لمحات من الحياة الاجتماعية	٤٥
سادساً:	جوانب من الحياة العلمية والثقافية	٤٩
سابعاً:	شذرات من التاريخ الاقتصادي	٥٣

أولاً: مدخل:

كتب التراث الإسلامي متعددة الأسماء، متنوعة الموضوعات، فمنها الدينية والشرعية والفقهية، كالقرآن الكريم وتفاسيره، وكتب السنن الستة: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومسنند أحمد، وسنن ابن ماجه، والترمذي، وأبوداود. وكتب الفقه مثل: مؤلفات الأئمة مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وكتب الخراج: لأبي يوسف، والأموال لابن سلام، والأحكام السلطانية للماوردي، وما نُشر من مؤلفات في هذا الباب عبر عصور الإسلام المبكرة والوسيطة^(١). وهناك كتب السير، والطبقات، والتراجم، والتاريخ العام والحوالي، وتاريخ البلدان والحواضر، وأيضاً المؤلفات في اللغة ومعاجمها، والأدب والشعر، والمعاجم الجغرافية، أو كتب الجغرافيا والرحلات، وكتب الأنساب والقبائل، وموسوعات التراث الإسلامي العامة، مثل: نهاية الأرب للنويري، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، وصبح الأعشى للقلقشندي، ومبهاج الفكر ومنهاج العبر للكتبي^(٢).

(١) انظر دراسة مطولة في بعض كتب التراث التي تحدثت عن جنوب شبه الجزيرة العربية. غيثان بن جريس. دراسات

في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (١٠٠هـ/٧٠٠ ق.م) ، ٢، ص ٢٦١.

(٢) المرجع نفسه، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ بلدان السراة وتهامة كما وردت في كتب التراث،

ونرى أيضاً من يدرس هذه الأوطان دراسة أثرية، فتجمع آثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية، ثم تدرس

دراسات علمية، ونأمل أن مؤسسات أكاديمية تقوم بالتنقيب عن آثارها المدفونة في مواضعها التاريخية المتناثرة

في عموم السروات من الطائف حتى نجران.

وفي هذه الصفحات لن نستعرض كتب التراث جميعها ، فهذا موضوع كبير ويستحق أن يدرس في بحث كبير، وربما خرج في عدة مجلدات ، ولكننا سوف نشير إلى مقتطفات ونماذج محدودة ذكرت بلاد وسكان تهامة والسراة في كتب التراث الإسلامي، والهدف من إشاراتنا هذه والاختصار في الطرح يعود لعدة أمور هي :

١. أن أرض السروات وتهامة بلاد شاسعة ومأهولة بالسكان ، تربط بين بلاد اليمن والحجاز ، ومذكورة في كثير من الكتب التراثية الإسلامية .
٢. الباحث في مصادر التراث الإسلامي عن حضارة وتاريخ هذه البلاد الممتدة من الطائف ومكة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً لن يجد تفاصيل عامة وخاصة عن أرض وسكان هذه الأوطان ، وإنما سوف يجد شذرات متفرقة في بطون كتب التراث، وجميع ما كتب عنها عند المتقدمين لا يعطي صورة جلية وكاملة عن تاريخها وحضارتها ، وإنما يشير إلى صور متفاوتة في الكم والمعلومات من محور لآخر.
٣. التنبيه إلى أن مصادر التراث الإسلامي لم تغفل الإشارة إلى حضارة هذه البلاد، لكن ما حفظته لنا لا يكفي، ولا بد من إجراء دراسات أثرية في الحواضر والقرى والمدن الحضارية التي عاش فيها وعرفها أهل البلاد خلال القرون الجاهلية والإسلامية المبكرة . وهذا التنبيه يفيدنا أيضاً في قراءة بعض الصفحات التاريخية عن هذه البلاد ، وندعو أرباب القلم وأهل الاختصاص من علماء التاريخ ، واللغة والأدب، والجغرافيا والرحلات، والأنساب في جامعاتنا ومراكزنا البحثية الحديثة أن يجمعوا ويدرسوا وينقدوا ما ذكر عن هذه البلاد في كتب التراث الإسلامي^(١).

ثانياً: صفحات جغرافية وسكانية :

١- المقصود ببلاد تهامة والسراة :

تهامة : سميت تهامة لشدة حرها ، وهي تساير البحر ، ومنها مكة والحجاز ، قال ابن عقيل: ما سال من الحرتين سليم وليلى فهو تهامة . وقال المدائني : تهامة اليمن هو ما أصحر منها إلى حد في باديتها فهو من تهامة^(٢) . وتهامة قطعة من اليمن ،

(١) نأمل من طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ واللغة العربية في جامعات الملك خالد ، والباحة ، ونجران، وجازان، وبيشة أن يتخذوا من هذه البلاد موضوعات لأطروحاتهم في درجة الماجستير والدكتوراه، وأن تكون كتب التراث الإسلامي من أهم مصادرهم الرئيسية في هذه الدراسات .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ج ٢، ص ٦٣ .

ويحد تهامة في غربها بحر القلزم ، وشرقها جبال ، وفي شرقها مدينة صعدة ، وجرش ، ونجران ، وشمالها مكة وجدة ، وجنوبها صنعاء ، وطول تهامة من الشرجة إلى عدن ، وعرضها من الجبال إلى عمل غُلافقة^(١) وتهامة من أقسام بلاد العرب . ومن بلاد تهامة عك ، والمجازة ، وعليب ، وقتونا وكلها تهامة^(٢) .

والسراة : السراة الجبال . وجبل السراة ما بين اليمن والشام ، وهو مجموعة من الجبال المتصلة على شق واحد من أقصى اليمن إلى الشام ، والسروات ثلاث: (أ) سراة بين تهامة ونجد وأدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء ، والطائف سراة بني ثقيف . (ب) معدن البرام هو السراة الثانية وهو في بلاد عدوان . (ج) والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من المشرق ومنها سراة بني شباة وغيرها من الطائف حتى صنعاء^(٣) . وفي وصفها^(٤) . أنها جبال شامخة عالية ذات عيون دافقة ومياه جارية على قرى متصلة الواحدة إلى جانب الأخرى ، ولا تخلو قرية منها من أشجار وغروس ذوات فواكه أكثرها العنب واللوز . وقد وصفت في كتب عدة^(٥) . وتشتمل على السروات التالية : سراة بني سيف ، وجبلان ، والمصانع ، وعذر ، وهنوم ، وخولان ، ثم يتلوها السروات التي بأرض تهامة ، وهي: سراة جنب ، وتهامة السراة ، ثم الجبل الأسود إلى الشقار وسعيماً من أرض جرش . وغور هذه البلاد أعلاه ضنكان والبرك والمعقد ، وسراة عنز ، وسراة الحجر نجدها خثعم وغورها بارق ، ثم سراة من الأزدي وبنو القرن ، وبنو خالد ، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزدي ، ثم سراة الخال لشكر ونجدهم خثعم ، وغورهم قبائل من الأسد بن عمران ، ثم سراة زهران من الأزدي دوس وغامد ونجدهم بنو سوأة بن عامر ، ثم سراة بجيلة فنجدها بنو المعترف ، وغورهم بنو سعد من كنانة . ثم سراة بني شباة وعدوان وغورهم الليث ومركوب فيلملم . ثم سراة الطائف وغورها مكة ونجدها ديار هوازن من عكاظ^(٦) .

ونورد بعض أقوال الذين كتبوا في الجغرافيا كالهمداني ، وياقوت الحموي ، فالحسن الهمداني يشير إلى أن السراة أعظم جبال العرب ، ويمتد من أقصى اليمن حتى أطراف

- (١) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مج ١ ، ص ١٤٦ .
- (٢) البكري ، معجم ما استعجم ، تحقيق جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٨هـ ، ج ١ ، ص ١٦ .
- (٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .
- (٤) العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الرابع ، تحقيق حمزة أحمد ، ص ٥٤ .
- (٥) انظر: أبو الفداء ، تقويم البلدان . البكري ، المسالك والممالك . القلقشندي ، صبح الأعشى . والنويري ، نهاية الأرب .
- (٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأوك ، دار اليمامة ، الرياض ، (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص ١١٥ . ١٢٠ .

بوادي الحجاز، وأرض تهامة تجمع ما يلي هذا الجبل من أسياف البحر من بلاد الأشعرين، وعك، وكنانه، والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها في تهامة^(١) وجبل السراة الذي يصل ما بين أقصى اليمن والشام، وتبدأ السراة من أرض اليمن وتشتمل على السروات التالية: (سراة المعافر)^(٢)، الكلاع، وبنى سيف، وجبلان^(٣)، وقدم^(٤)، وعذر، وهنوم^(٥)، وخولان، ثم يتلوها السروات التي بأرض تهامة وهي: (سراة جنب : قرية جنب في هذه السراة، والكبيبة، وتهامة السراة : ثم الجبل الأسود على الشقار وسعيماً من أرض الطود)^(٦)، وسراة عنز، وسراة الحجر نجدها خثعم وغورهم بارق، ثم سراة ناة من الأزدي، وبنو القرن، وبنو خالد، ونجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزدي، ثم سراة الخال لشكر ونجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأسد بن عمران، ثم سراة زهران من الأزدي ودوس وغامد والحر ونجدهم بنو سواة بن عامر وغورهم لهب وعويل من الأزدي، وبنو عمرو وبنو سواة خليطي والدعوة عامرية^(٧).

ويشير ياقوت الحموي إلى أن تهامة سميت بهذا الاسم لشدة حرها وركود رياحها. وهي تسائر البحر ومنها مكة وأجزاء من الحجاز. وقال الشرقي بن القطامي: تهامة إلى عرق اليمن إلى الجحفة وذات عرق. وقال ابن عقيل: ما سال من الحرتين سليم وليلى فهو تهامة. وقال الأصمعي: طرف تهامة من قبل أحد مدارج العرج، وأول تهامة من قبل نجد ذات عرق. وقال المدائني: تهامة اليمن هو ما أصحر منها إلى حد في باديتها فهو من تهامة^(٨). والسراة الجبال. وجبل السراة: يصل ما بين اليمن والشام وهو مجموعة من الجبال المتصلة على شق واحد من أقصى اليمن إلى الشام، والسروات ثلاث: وأدناه الطائف وأقصاها قرب صنعاء، والطائف سراة بني تقيف، ومعدن البرام هو السراة الثانية، وهو في بلاد عدوان، والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من المغرب وعلى نجد من المشرق، وبأسفل السروات أودية

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوغ، دار اليمامة، الرياض، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ١١٨.

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت، دار صادر)، ج ٢، ص ٦٣.

تصب في البحر منها: الليث، وقنونا، وضنكان، وعشم، وبيش، ومركوب، ونعمان، وهو وادي عرفات، وعليب، ويوجد بجبال السراة الأعناب وقصب السكر والقرض والأسحل، وأفصح الناس أهل السروات المطلة على تهامة مما يلي اليمن: (أولها هذيل وتلي السهل من تهامة، ثم بجيلة وهي السراة الوسطى، وسراة الأزد. أزد شنوءة. وهم بنو كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر من الأزد)، قال سعيد بن المسيب: " إن الله تعالى خلق الأرض فمادت فضربها بهذا الجبل (السراة)، وهم أهم جبال العرب"^(١).

٢- أهم المدن والقرى والبلدان:

(*) الطائف: مدينة قديمة جاهلية وهي بلد الدباغ ويدبغ بها الأهب الطائفية، وسكنها ثقيف، وسكن شرق الطائف قوم من ولد عمرو بن العاص وبها الكثير من الأودية. وفي الطائف حائطان لزبيدة عظيمان يقال لموضعهما وج، ووادي لية وسكنه بنو نصر من هوازن، ووادي جفن^(٢). (*) نجران: وهي قرية تحت تهامة اليمن وبها أودية منها: (وادي الخسف، والخسف ما اشتق إلا من الخصب. ووادي العلائم، ووادي الرفاء التي تهب الرياح فيه مدة اثنتي عشرة ليلة فيهلك الزرع، والكروم)^(٣). (*) جرش: جرش وحيوان ونجران كلها بلاد متقاربة في المقدار والعمارة، وبها تدبغ الجلود اليمانية التي لا يبلغها شيء في الجودة^(٤). وهناك عدة روايات في سبب تسمية جرش بهذا الاسم: قيل أن تبعاً أسعد بن كرب خرج غازياً من اليمن فلما صار في بلاد جرش وهي خالية آنذاك رأى فيهم ضعفاً وقال لهم: (اجرشوا هاهنا أي البثوا فسميت بذلك)، وهي مخلاف من مخاليف اليمن جهة مكة وهي عظيمة، وولاية واسعة، وإليها ينسب الأديم الجرشي والنوق الجرشية، ولقد فتحت في عهد الرسول (ﷺ) وصالح أهلها^(٥). وهي بلدة بها نخيل وتشتمل على أحياء من اليمن، ويقال جرش بلدة صالحة

- (١) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٠٤، ٢٠٥. هناك مصادر جغرافية عديدة غير الهمداني وياقوت الحموي فصلت الحديث عن جغرافية جبال الحجاز التي فيها جبال السروات، وكذلك بلدان تهامة مثل: الأصفهاني، والحربي، والمسعودي، والمقدسي، والبكري، واليعقوبي، كما أن هناك بحثاً عديدة حديثة ناقشت الموضوع نفسه مثل كتب ودراسات جواد علي، وصالح أحمد العلي، وحمد الجاسر، ومحمد علي الأكوغ وغيرهم.
- (٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٠.
- (٣) ابن الجاور، المصدر نفسه، ص ٢١٢.
- (٤) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مج ١، ص ١٥١.
- (٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦.

وحولها من شجر القرص ما لا يحصى ، بها مدايع كثيرة وعرضها ست عشرة درجة ، قال الإدريسي : مدينة جرش ونجران متقاربتان في القرب والعمارة ، ولها مزارع وضياع وبينهما ست مراحل^(١) .

(*) تبالة : بقرب الطائف على طريق اليمن من مكة وهي لبني مازن قال عمرو بن معديكرب :

أَغْزُورِجَالِ بَنِي مَازِنٍ بِبَطْنِ تَبَالَةَ أُمِّ أَرْقُدُ
وهي التي يضرب بها المثل ، فيقال : " أهون من تبالة على الحجاج " وزعم أبو يقظان أن أول عمل وليه الحجاج بن يوسف الثقفي عمل تبالة ، وهي من أعمال مكة سميت بتبالة بن جناب من بني عملق ، أو بتبالة بنت مدين كما زعم الكلبي^(٢) . أسلم أهل تبالة وجرش من غير حرب في السنة العاشرة من الهجرة . وهي أرض خصبة قريبة من بيشة وتقع على مسافة ثمانية أيام من مكة وستة أيام من الطائف ويوم واحد من بيشة^(٣) ، وذكرت في مواضع أخرى^(٤) . (*) بيشة : قرية تقع على واد من بلاد اليمن وتسكن بيشة الكثير من البطون ومنها : بطون من خثعم ، وهلال وسواء بن عامر بن صعصعة ، وسلول وعقيل ، والضباب ، وقريش وهم بنو هاشم ، وبيشة واد يصب سيله من حجاز الطائف ويصب في نجد وهو موضع كثير الشجر وبه نخيل^(٥) . قال العقيلي : جمع بني خفاجة يجتمعون ببيشة ورنية وهما واديان ، أما بيشة فيصب من اليمن . وأما رنية فيصب من السراة^(٦) . (*) زبيد : مدينة كبيرة وأهلها أهل مال وثروة ، وبها يجتمع التجار من أرض الحجاز وأرض الحبشة ومصر الصاعدون من مراكب جدة وهي على نهر صغير^(٧) ، وهي وادي الحصيبي يذكر في الآثار أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ وصيته : " يا معاذ إذا جئت وادي الحصيبي فهورول " ومن علمائهم أبو محمد الصنعاني ، والفقهاء الصوفي ، وأبو علي الزبيدي . ماؤها آبار ، ولها نخل كثير ،

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٧١ .

(٢) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٠-١١ .

(٣) الكتب التي أوردتها كثيرة ومنها : الهجري ، تحديد المواضع وغيره .

(٤) الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢٩ .

(٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، تحقيق: حمد الجاسر ، صالح العلي ، دار اليمامة ، الرياض .

(٦) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٥٢ .

(٧) ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٦٥ .

وعليها سور فيه ثمانية أبواب ، ولها ساحل يعرف بغلافقة ^(١) . (*) حلي : من أطراف اليمن وتعرف بحلي ابن يعقوب ^(٢) ، وهي آخر حد من جهة مكة ^(٣) . (*) أبيدة : منزل من منازل أزد السراة بين تهامة واليمن ^(٤) . (*) أديم : أرض تجاوز تثليث ، تلي السراة بين تهامة واليمن وكانت من ديار جرم قديماً ^(٥) . (*) تثليث : موضع ببلاد بني عقيل : قال الهمداني : " تثليث : واد بنجد وهو على يومين من جرش في شرقيها إلى الجنوب ، وعلى ثلاث مراحل ونصف من نجران " . قال : " وتثليث لبني زبيد ، وهم فيها إلى اليوم ، وبها كان مسكن عمرو بن معد يكرب الزبيدي " ^(٦) . (*) تربة : وهو موضع في بلاد بني عامر قال محمد بن سهل : " من مخاليف مكة النجدية وهي الطائف ، وقرن المنازل ، ونجران ، وعكاظ ، وتربة ، وبيشة ، وتبالة ، والهجرة ، وجرش " . قال : " ومخاليفها التهامية : ضنكان ، وعشم ، وأبين " ^(٧) . (*) رنية : قرية حد تبالة يسكنها بنو عقيل قرب بيشة وتثليث ^(٨) . وهي واد ينصب من تهامة ^(٩) . (*) رمع : قرية أبو موسى لبلاد الأشعريين قرب زبيد ^(١٠) . وغيرها من القرى الكثيرة والمدن التي احتوتها بلاد السراة وتهامة ^(١١) . (*) بلاد وادعة النجدية : بقعة وعوذان والثويلة وغيل علي وأعلى وادي نجران ، وجبل شوك ، فالزبران ، فالنمضج ، فغيل علي ، فأقاويات ، فجلاجل ، وهم من وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج ^(١٢) . (*) بلد يام : وليام وطن بنجران نصف ما مع همدان ، وهي حارة وملاح وسمنان ، وبخليف دكم قتل عبد الله بن الصمة أخو دريد ، والحضيرة ، وبدر ، وصيحان ، وقابل نجران ، وهداة ، والحظيرة بأعلى حبونا ^(١٣) .

- (١) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٨٥ .
- (٢) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
- (٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٥١ .
- (٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٥ .
- (٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
- (٦) البكري ، معجم ما استعجم ، ص ٢٧٤ .
- (٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧٤ .
- (٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٤ .
- (٩) البكري ، معجم ما استعجم ، ص ٢٦٧ ، والصحيح أن ينصب من السروات .
- (١٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٨ .
- (١١) أسماء القرى والأودية والجبال والمواقع لتهامة والسراة التي ذكرتها كتب التراث ، كثيرة جداً ، واكتفينا بهذه النماذج المذكورة في هذا القسم .
- (١٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٠ .
- (١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .

(*) ديار جنب وهي منبه: ومن ديارهم سرورم عقدة ، وسرورم العين ، وسرورم الفيض هي سرورم الطرفاء ، والسفسف ، والقرحاء ، والثجة ، وذات عش ، والجبل الأسود وهو معظم بلد جنب ، وهو ما بين منقطع لسراة خولان بجذاء بلد وادعة إلى جرش وفيه قرى ومساكن ومزارع وهو شبيهه بالعارض من أرض اليمامة . ومن بلد جنب راحة ومحلاة ، وهما واديان يصبان من الجبل الأسود إلى نجد شرقاً ، وله أودية تهامية ونجدية ^(١) . (*) (بلد بني نهد: طريب ، ومصابة من ذوات القصص ، وكتنة ، وأراك ، وأراكة في أسفل بلد زييد وهي ناحية المصامة من ديار خثعم بن عامر بن ربيعة . وتثليث وكان لعمر بن معد يكرب فيه حصن ونخل ، والقرارة ، والريان ، وجاش ، وذو بيضان ، ومريع ، وعبالم وغرب والحضارة ، والعشتان ، والبردان (بئر بتبالة) وبالعرض من نجران ^(٢) . (*) شهران : وشهران في سراة بيشة وترج وتبالة فيما بين جرش وأول سراة الأزد ^(٣) . (*) (بلد خثعم : أعراض نجد بيشة وترج وتبالة والمراغة ^(٤) . (*) (بلد هلال : الواديان رنية وأبيدة ، ومن القرى : القريحا وقد خربت ، والعبلاء والفتق ^(٥) . (*) (بلاد حَكَم من حكم آل عبد الجد ومدنها وملوكها : الهجر ، والخصوف ، والساعد ، والسقيفتين ، والشرجة ، ومن قراها أيضاً : العداية ، والركوبة ، والمخارف ، والقليق ، ومن أوديتها : حرص ، وحيران ، وجدلان ، وبني عبس ، والحيد ، وتعرش ، وجحفان ، ولية ، وخب ، وزائرة ، وضمد ، وجازان ، وصيبا ^(٦) . (*) (مخلاف عثر : وعثر ساحل جليل ، ومدينة بيش ، وحصبة أبراق ، وفيه من الأودية : الأمان ، وبيش ، وعتود ، وببض ، وريم ، وعمرم ، وزنيف ، والعمود ، وهو الخولان ، وكنانة ، والأزد وملوكه من بني مخزوم ومن عبيدها ^(٧) . (*) (بلد حرام وكنانة : وهو وادي أئمة وضنكان وهو معدن غزير ولا بأس بتبره ، والحره ، حره كنانة ، والمعقد ، وحلي ومن أوديتها : الفراسة ، والجونية ، والمحرم ، ودعنج ، وعشم معدن ، والسرين ، والليث ، ومركوب ، واديان فيهما عيون ، ويللم ، والخيال ، وطيبة ، وملكان ، والبيضاء ، والمدارج ، ووادي وحمة وأسفل عرنة ^(٨) .

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .

(٨) المصدر نفسه ، مازال هناك عشرات القرى والمواضع التي ذكرتها كثير من كتب التراث ولم نذكرها ومن يعود إلى كتب المعاجم الجغرافية القديمة سوف يطلع على الكثير منها .

٣- بعض الجبال والأودية :

أ - الجبال : (١) **أراك أو أزال** : جبل الهذيل قريب من الطائف^(١) . (٢) **يلملم**^(٢) : جبل من تهامة على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن . (٣) **شكر** : جبل باليمن قريب من جرش^(٣) . (٤) **شماخير** : جبال بالحجاز بين الطائف وجرش^(٤) . (٥) **غزوان** : جبل بمكة على ذروة الطائف وتسكنه هذيل ولا يوجد بالحجاز موضع أعلى منه^(٥) . (٦) **تختم** : اسم جبل بالمدينة وقيل ببلاد بلحارث بن كعب . (٧) **تضارع** : جبل بتهامة لبني كنانة . (٨) **تقرع** : جبل لكنانة قرب مكة . (٩) **تيل** : جبل أحمر شاهق من وراء ديار عامر بن صعصعة . (١٠) **جندف** : جبل باليمن في ديار تختم وترج . (١١) **الثدوان** : جبالان بتهامة وقيل باليمن أحمران . (١٢) **عصم** : جبل لهذيل . (١٣) **غرار** : جبل لهذيل . (١٤) **لحوظ** : جبل في بلاد هذيل . (١٥) **يصرم** : جبل في بلاد هذيل . (١٦) **حلبة** : وادي بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة . (١٧) **السلان** : واد فيه ماء من أرض تهامة . (١٨) **الضجُن** : وادي في بلاد هذيل بتهامة أسفله لكنانة . (١٩) **الكفئان** : شعبان بتهامة فيهما طريقان مختصران يصعدان إلى الطائف . (٢٠) **لحف** : وادي بالحجاز عليه قريتان: جبلة والسراة^(٦) .

ب - الأودية :

(*) وادي بني عيس من حكم^(٧) . (*) وادي خلب ، وعلى جانبيه الخصوف ومآتية من القفاعة ، والبار وبينهما أودية تشرع في قاع تهامة ، وتسقى المخاريف من بلد حكم إلى البحر وهي: وادي تعشر ، وأودية الحديد ، والملحة ، ولية ثم خلب^(٨) . (*) وادي عتود: وادي نجران ، وادي المنبج^(٩) . **أودية تربة ورنية وبيشة** : هذه جميعها أودية

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٤١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١١٢ .

(٦) هذه نماذج من جبال تهامة والسراة ، وهناك عشرات الجبال المتفاوتة في الكبر والصغر وفي الطول والعرض . وبعض الجبال الكبيرة تستحق أن يفرد لها دراسات مستقلة .

(٧) الهمداني ، المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

ضخمة مسيرة كل منها عشرون يوماً ، وأسفلها في نجد وأعلىها في السراة^(١). (*)
 ترج : واد إلى جانب تبالة . (*) : تضاع: وادي بالحجاز لثقيف وهوازن. (*) حلية^(٢)
 : واد بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة وقال أبو المنذر : ظننت بجيلة وخنعم إلى جبال
 السراة فنزلوها وسكنوا فيها فنزلت قسر بن عبقر بن أنمار بن أراش جبال حلية وما
 صاقبها فأجلوهم عنها وحلوا مساكنهم ثم قاتلوهم فغلبوهم على السراة وقتلهم
 بعد ذلك خنعم ونفوههم عن بلادهم . (*) حيص : شعب بتهامة لهذيل من السراة .
 (*) دوقة^(٣) : لغامد وهي وادي على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا تهامة وبينه
 وبين يللمم ثلاثة أيام . (*) ضنكان : واد في أسافل السراة يصب في البحر . (*) ومن
 الأودية: وادي جازان ، وضمد وبينهما وبين خلب أودية مثل زائرة ، والفجا ، وصيبا ،
 وبيش^(٤) . (*) وادي نجران : وفروعه من ثلاثة مواضع من بلد بني حيف من وادعة ،
 ومن بلد بني جماعة من خولان ، ومن بلد شاكر^(٥) . (*) ويعترض بين نجران وتثليث
 أودية منها : حيونن وغيره من بلاد وادعة ويام وزبيد وسنحان وبلد جنب^(٦) .

٤- : من مواضع المياه :

أمكنة المياه بأرض تهامة والسراة كثيرة ومنها (*) تصيل: بئر في ديار هذيل .
 (*) **تقند** : من مياه بني سعد بن بكر بن هوازن . (*) الحليسة : ماء لقوم من بجيلة
 يجاورون بني سلول . (*) **حماط** : ماء من صدر الليث^(٧) . (*) تيان : ماء في ديار
 هوازن . (*) **دعائم** : ماء لقوم من خنعم وهم جيران لبني سلول . (*) العرى: ماء
 لقوم من بجيلة مجاورين لبني سلول . (*) عتود : ماء لكنانة وخزاعة.

٥- بعض القبائل التي سكنت المنطقة :

من القبائل التي سكنت بلاد تهامة والسراة ، واستقرت بها ومازال بعضها
 في أماكنها القديمة حتى اليوم . (*) مذحج: من بني أدد بن زيد بن يشجب بن

- (١) ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ٢١ ، ج٢ ، ص ٧٤ .
- (٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .
- (٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٤٨٥ .
- (٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٦ .
- (٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٢ .
- (٦) المصدر نفسه ، ، ص ١٦٦ .
- (٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢٩٨ .

عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . قال الكلبي : عن مذحج بن أد وهو ذو الأنعام ، وله ثلاثة نفر: مالك بن مذحج ، وطيب بن مذحج ، والأشعر بن مذحج ، ومن قبائل مذحج سعد العشيرة ، وجعف ، وصعب . ومن بني زبيد: عمرو بن معديكرب الزبيدي . ومن مذحج جنب^(١) ، والنخع ، وعنس^(٢) وهو عنس بن مالك بن أد ، ومن بطونها أيضاً مراد ، ومن مراد فروة بن مسيك وكان والياً لرسول الله ﷺ على نجران^(٣) . (*الأشعر: هو الأشعر بن أد أخو مذحج ، ومن بطون الأشعريين : مراطة ، وأسد وسهلة ، والدعالج ، ومن أشراف الأشعريين أبو موسى الأشعري^(٤) . (*الأزد : فهم من ولد الغوث، ومن الأزد: خزاعة ، وبارق، ودوس، والعتيك، وغافق، فهؤلاء بطون الأزد^(٥) . ومن بارق : مُعَظِر بن حمار البارقي، وهو صاحب القصيدة المشهورة :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

(*) أما دوس: سكنت إحدى السروات المطلّة على تهامة ، وأول من ملك منهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، ومن دوس أبو هريرة . (*) أما العتيك وغافق: فقبيلتان مشهورتان في الإسلام ، وهم من ولد الأزد ومن بطونها مازن ، وأمع ، وغامد ، وثمالة ، ولهب ، وزهران ، ووالبة ، وعك ، وفهم ، والجهاضم وغيرهم^(٦) . (*) بجيلة وخثعم : من ولد عمرو بن الغوث ، وهم ولد أنمار بن أراش^(٧) . وكانت منازل خثعم في البلاد الممتدة من الطائف إلى نجران ، ولاتزال بطون منها موجودة حتى الآن في محافظة بلقرن ، ومنها بطون في تهامة والسراة . ولقد تعبدت خثعم مثل بجيلة ودوس وباهلة والأزد للصنم المسمى (ذو الخلصة) الذي هدمه جرير بن عبد الله البجلي في صدر الإسلام ، أما بجيلة فهم بطون عديدة متفرقة ومن أشهرها قسر ، وعلقمة ، وبنو

(١) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ط٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، (١٢٨٤هـ/١٩٦٥م) ج٣ ، ص٢٩٣ .

(٢) العمري ، مسالك الأبيصار وممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ص ٢٦٢ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣ ، ص ٣٩٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٠٠ .

(٥) العمري ، مسالك الأبيصار وممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ص ٢٥٤ .

(٦) الأشعري ، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ، تحقيق سعيد عبد المقصود ، نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٥٦ .

(٧) النويري ، نهاية الأرب ، المؤسسة المصرية العامة ، السفر الثاني ، ص ٢٥٤ .

أحمس^(١). (*) ثقيف : وهو ثقيف بن منبه بطن من هوازن ، ومن ثقيف بنو جهم ، وبنو عوف ، ويعرفون بالأحلاف ، وكانوا يقيمون بالطائف ، وثقيف بن بكر بن هوازن^(٢). (*) القبائل النزارية: تتألف من ربيعة ومضر وإياد وأنمار ، أما إياد فكان موطنها تهامة إلى حدود نجران ثم تفرقت بسبب الحروب وسكن قسم منها وادي بيشة^(٣). أما أنمار فهو أبو بجيلة وخنعم^(٤). وقصة أولاد نزار مع الأفعى الجرهمي معروفة في نجران^(٥). كما سكنها سام بن نوح^(٦) ، والعماليق^(٧) وولد قحطان بن عابر^(٨) ، وعندما اقتسم أولاد معد بن عدنان^(٩) الأرض نزل مضر بن نزار الأرض الممتدة ما بين السروات والحرم ، وربيعة ابن نزار من نجد إلى غور تهامة ، وأما إياد وأنمار ابني نزار فنزلا الأراضي الممتدة ما بين أرض مضر إلى نجران وما حولها . فسكنوا الجبال والسهول وجعلوها مراعي لأنعامهم^(١٠). وذكر الهمداني : إن سعد العشيرة^(١١) قد أخرجت معد من تهامة إلى

- (١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، جامعة بغداد ، ج٤ ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٦ .
- (٢) الأشعري ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .
- (٣) جواد علي ، المفصل ، ج١ ، ص ٣٩٦ .
- (٤) الأشعري ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .
- (٥) انظر : العُمري ، مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ص ٢٧٢ .
- (٦) بعد الطوفان ونزول نوح عليه السلام الأرض قسمها بين أولاده الثلاثة (سام ، وحام ، ويافت) فكان لابنه سام الأرض الممتدة من بلاد الحرم وحتى حضرموت وإلى عالج ومن ولده أرم بن سام ، انظر : المسعودي ، ج١ ، ص ١١ .
- (٧) عندما أصاب اليمن القحط هاجرت جرهم وتفرقت العماليق ، ومن هلك من بقاياهم عاد فاتجه العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى وعليهم السמידع بن هوبر بن لايي بن قويطر بن كركر بن حيدان فجاوروا هاجر وإسماعيل عليهم السلام ، المسعودي ، ج٢ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .
- (٨) واستقر ولد قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن كهلان وحمير بأرض اليمن والتهائم والأنجاد وبلاد حضرموت والشحر والأحقاف ، وبلاد عمان وغيرها من الأمصار . المسعودي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٧١ .
- (٩) عدنان بن مبدع بن أد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهيمع بن جميل بن سليمان بن ثابت بن قيدار بن إسماعيل . وقد روي ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ انتسب فلما بلغ عدنان وقف وقال : (كذب النسابون) . وولد عدنان عك بن عدنان ، ومعد بن عدنان ، وولد معد بن عدنان ثمانية نفر يذكر منهم أربعة : قضاة بن معد ، وإياد بن معد ، ونزار بن معد ، فولد نزار ربيعة ، ومضر ، وأنمار ولد خنعم وبجيلة فساروا إلى اليمن ، وأما مضر فولد إلياس ، ويقال لولد إلياس خندف . البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، د ت ، مج٢ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .
- (١٠) البكري ، معجم ما استعجم من البلاد والمواضع ، تحقيق: د جمال طلبة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ ، ج١ ، ص ٢٨ ، وكان لأولاد نزار بن معد قصة مع الأفعى الجرهمي ملك نجران بوصية من والدهم في خبر يطول ذكره . المسعودي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٤٤ وما بعدها .
- (١١) وهي من قبائل مذحج : سعد العشيرة بن مالك بن أد ومن بطون سعد العشيرة : جعف ، وصعب ، ومن بني يزيد الصفري : عمرو بن معديكرب . انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢ ، ط القاهرة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦٥/١٣٧٢ ، ص ٣٩٣ .

الحجاز بعد حروب دارت بينهم^(١)، وفي أعقاب سيل العرم وخروج عمرو بن عامر^(٢) بمن معه من أهل اليمن فتفرقوا في الأرض فسكن السروات: الحجر بن الهنوء، ولهب، وناه، وغامد^(٣) ودوس^(٤) وشكر، وبارق السوداء^(٥)، وحاء، وعلي بن عثمان، والنمر، وحوالة، وثمالة^(٦) وسلامان، والبقوم، وشمران، وعمرو، ولحق كثير من ولد نصر بن الأزد بنواحي الشحر وريسوت^(٧) وتلك القبائل مازالت تسكن الكثير من بطونها المنطقة السروية وأجزاء من تهامة حتى الوقت الحاضر.

ثالثاً: شيء من الحياة الدينية والعقائدية:

لم تكن منطقة السراة بمعزل عن بقية أرجاء الجزيرة العربية، فلقد تأثرت بالمعتقدات الدينية السائدة بها سواءً الوثنية أو السماوية. ويمكن أن نتناول الأحوال الدينية في بلاد تهامة والسراة من خلال محورين (١) السرويون ومعتقداتهم الدينية في الجاهلية. (٢) نور الإسلام يشع في البلاد السروية.

١- في الواقع أن السرويين سرت بينهم الكثير من معتقدات العرب في الجاهلية

ومنهم من كان وثنياً، أو نصرانياً، أو يهودياً، فالوثنية شقت طريقها إلى الأراضي السروية، شأنها شأن بقية أصقاع العرب، وهنا نطرح سؤالاً، كيف وصلت الوثنية إلى

- (١) الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١، تحقيق: محمد الأكوخ، ط١، صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة، د، ت، ج١، ١٥٧.
- (٢) عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الغوث بن كهلان بن سبأ، أخبرته طرفة الكاهنة بأمر سيل العرم وخرج من بلد اليمن فلما كان بتجران تخلف أبو حارثة بن عمرو بن عامر بن مزيقياء، ودعيل بن كعب بن أبي حارثة فانتسبوا في مذحج، ونزل أناس من بني نصر بن الأزد بين السراة ومكة وأقام معهم عمران الكاهن أخو عمرو بن عامر وعدي بن حارثة بن عمرو ثم سار عمرو بن عامر وبنو مازن ونزلوا بين الأشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد، ورمع، ومنهم من دخل مع معد بن عدنان وكانت بينهما حروب ظفرت بها بنو معد بن عدنان فأخرجتهم إلى أن لحقوا بالسراة وأقاموا في سهلة وجبله. المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٠.
- (٣) غامد بن عمرو بن عبد الله بن كعب وهي من قبائل الأزد. ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دت، ص ٤٧.
- (٤) ودوس بن زهران: ومنهم حممة بن الحارث بن رافع سيد دوس في الجاهلية وكان أسخى العرب، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص ٢٨٨.
- (٥) بارق ماء السراة، وبارق بطن من خزاعة من بني عامر ومن مزيقياء ومنهم سعد بن عدي بن حارثة. انظر: ابن بطوطة، تحفة النظر، ص ٤٧.
- (٦) ثمالة: وهو عوف بن أسلم بن أبحر بن كعب بن الحارث، وثمالة منزلهم قريب من الطائف انظر: ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨٦.
- (٧) ومن بطون الأزد الأوس والخزرج وغسان وخزاعة، والحجر، ومازن، وغامد، وثمالة، ولهب، وزهران، وعك، ودوس، ونهم، والجهاضم، والأشافر، والتسامل، والفراهيد، والخزاق، ويشكر وراسب، والأزد: هو الأزد بن الغوث بن بنت من مالك بن زيد بن كهلان. ابن بطوطة، تحفة النظر، ص ٤٧. انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٧٤.

السراة ٩ يذكر ابن حبيب : أن عمرو بن لحي الخزاعي كان كاهناً وله قرين من الجن، فأثامه يوماً وقال له : أجب أبا ثمامة : فقال: لبيك من تهامة : فقال: "أرحل بلا ملالة، فقال له : جبر ولا إقامة ، فقال أنت صف جدة ، فيها أصنام معدة ، فأورد بها تهامة ، ولا تهب ، ثم أذاع العرب إلى عبادتها تجب". فأتى ساحل جدة فوجد (ود، وسواع، ويغوث ، ويعوق ، ونسرا^(١)). فحملها معه إلى تهامة ، وحضر المواسم فدعا العرب إلى عبادتها فأجابوه ، فأخذ أحد قبيلة مراد^(٢) يغوث ، فكان بأرض في اليمن يقال لها مذحج فاتخذوا العديد من الأصنام ، وبالغوا في تعظيمها وتقديسهم لها ، وبنوا لها بيوتا خاصة ، وانفردت بعبادته بعض القبائل .

ومن تلك الأصنام التي عبدها السرويون (باجر ، ذو الخلصة ، والللات ، وجهار ، وذو الكفين ، ويغوث ، والمنطبق ، وذو الشري ، وعائم) ، فأما صنم ذو الشري فكان لدوس و باجر صنم الأزدي في الجاهلية^(٣) ، ويغوث تعبده مذحج ، وكانت في صراع مع مراد عليه ، وكثيرا ما يدخلون في حروب مع بعضهم مع بعض من أجل أن تنفرد كل قبيلة به ، ولعل من أبرز ما حل بهم يوم وقعة الرزم حيث اشتد نزاع مراد مع همدان على صنم يغوث فقتلتهم همدان شرقتلة^(٤) . وأما جهار فكان لهوازن^(٥) . ومعهم محارب وكان في عكاظ وسدنته هم آل عوف النصرين وهو على سفح أطحل ، وكان له نسك خاص عند الحج: حيث كانوا يلون له : " لبيك اللهم لبيك ، اجعل ذنوبنا جهار ، واهدنا لأوضح المنار"^(٦) . والمنطبق كان لعك^(٧) . والأشعريون^(٨) وهو مصنوع من النحاس^(٩) ، وأزد السراة لهم صنم يقال له عائم^(١٠) ، وصنم فراض لسعد العشيرة هدمه رجل منهم

(١) الأصنام عبت على عهد إدريس ونوح عليهما السلام . ابن حبيب ، المنق في أخبار قريش ، تحقيق : خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، د ت ، ص ٣٢٨ .

(٢) مراد : هي من قبائل مذحج ، مراد بن مذحج بن أدد ، ومن بطونها : ناحية ، وزاهر ، وأنعم . انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٤٠٠ .

(٣) لسان العرب ، القاهرة ، دار الحديث ، د ت ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(٤) ابن حبيب ، المحير ، رواية أبي سعيد الحسن السكري ، اعتنت به : إيلزه ليختن ، شتايترد ط المكتب التجاري ، بيروت ، د ت ص ٢١٢ ، الطبري ، الأمم والملوك ، اعتنى به : أبو صهيب الرومي ، ص ٥٦٢ ، ٥٦٣ .

(٥) هووازن بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس بن عيلان ومن بطونهم : سعد بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وجشم بن معاوية ، وثقيف ، وعامر بن صعصعة . انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٣٥٤ .

(٦) ابن حبيب ، المحير ، ص ٣١٢ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

(٧) عك بن عدنان بن عبد الله ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

(٨) والأشعر بن أدد أخو مذحج ويقال : ابن مذحج وولد الأشعر : الجماهر ، والأدغم ، والأفقم ، ومن بطون الأشعريين : مراطة ، وأسد ، وسهلة ، وعكابة ، والشراعة ، وعامة ، والرعالج ، ومن أشرف الأشعريين : أبو موسى الأشعري .

انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

(٩) ابن حبيب ، المحير ، ص ٣١٧ .

(١٠) جواد علي ، المفصل ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ .

وقدم وافداً على رسول الله (ﷺ) معلناً إسلامه^(١). وذو الكفين لدوس وخزاعة كسره الطفيل بن عمرو الدوسي عندما بعثه رسول (ﷺ) لدعوة قومه وقال عندما هدمه: "

يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أقدم من ميلادك"^(٢).

أما أعظم طواغيت أهل السراة على الإطلاق فهي اللات وذو الخلصة حيث بلغ من شدة تعظيم أصحابها ان بنوا لها بيوتا خاصة، وكانت بعض القبائل العربية تحج إليهما. فاللات^(٣). بأرض الطائف، وكانوا يبالغون في تقديسه، وبلغ من تعظيمهم له أنهم يحجون إليه، وجعلوا سدنته إلى أبي العاص من بني سيار ابن مالك بن ثقيف، وكانت له تلبية خاصة بالحج هي: لبيك اللهم لبيك، كفى بيتنا لبيك، ليس بمجهور ولا بلية، ولكنه من تربة زكية، أربابه، من صالحى البرية"^(٤) وأرسل رسول الله (ﷺ) المغيرة بن شعبه لهدمه بعد أن وفدت عليه (ﷺ) ثقيف معلنة إسلامها.

أما ذو الخلصة فكان مروة بيضاء منقوشة بتباله وسدنته بنوإمامة من باهلة بن أعصر^(٥). والقبائل التي تعظمه بجيلة، وختعم، والحارث بن كعب^(٦). وجرهم، وزبيد، وأزد السراة، وهوازن^(٧)، ومن تلبيتهم: "لبيك اللهم لبيك، لبيك بما هو أحب إليك"^(٨). وعندما ظهر الإسلام بعث رسول الله (ﷺ) جرير بن عبد الله البجلي لهدمه، وقال له: "يا جرير ألا تكفيني ذا الخلصة؟ فقال: بلى". ثم سار إلى تباله فهدم هذا الصنم وأضرم النيران به فاحترق"^(٩).

- (١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج ١، بيروت: دار صادر، دت، ص ٣٤٢.
- (٢) ابن سعد، الطبقات، مج ١، ص ٣٤٢. للمزيد انظر: الواقدي، المغازي، (تحقيق مارسدن جونسن)، ج ٢، ص ٩٢٣، ابن هشام، السيرة، تحقيق مصطفى السقا، طبعة بيروت، ج ٢، ص ٢١.
- (٣) صنم اللات: كان في الجاهلية على صخرة بالطائف، وكان أحد رجالات الطائف وربما اسمه اللات يأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حسيا، ويطعم من يمر به من الناس، فلما مات عبده، عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: (إن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يموت ولكنه دخل صخرة، فعبدها وبنوا عليها بيتا) وكانت اللات بالطائف، الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج ٥، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ١٦٤.
- (٤) المصدر نفسه، ص ٣١٥.
- (٥) ذو الخلصة: اسم البيت الذي كان فيه الصنم، وقيل اسم البيت الخلصة، واسم الصنم ذو الخلصة. انظر: البغدادي، خزائن الأدب ولب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دط، القاهرة، الخانجي، دت، ج ١، ص ١٩٠.
- (٦) خزائن الأدب، ج ١، ص ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧.
- (٧) خزائن الأدب، ج ١، ص ١٩٠، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ٢٨٤، ابن حبيب، المحير، ص ٣١٢.
- (٨) ابن حبيب، ص ٣١٢.
- (٩) البغدادي، ج ١، ص ١٩٠، ١٩١.

وكانت بعض القبائل السروية من الحمس، المتشددين في الدين، مثل: خزاعة، وكنانة، وجشم، وبنو عامر، وأزد شنوءة، وجرم، وزبيد، وبنو ذكوان، وعمرو اللات، وثقيف، والغوث، وقضاعة، ومدلج، وعدوان^(١). ومن أهل السراة من تحل الأشهر الحرم مثل: خثعم، كان يقال لهم الفجار، لأنهم لم يكونوا يحجون البيت في الجاهلية^(٢)، وكثير من أحياء قضاعة، ويشكر، والحارث بن كعب^(٣). وقد وجدت بعض العقائد السماوية طريقها إلى أرض السراة، لكنها كانت أقل انتشاراً من الوثنية. فالنصرانية في قضاعة، وبنو الحارث بن كعب في نجران، كما اعتنق بعض بني كنانة وبني الحارث اليهودية.

(* النصرانية وبنو عبد المدان: (كعبة نجران) : كان بنو عبد المدان بن الديان على النصرانية، وهم من بني الحارث بن كعب، بنوا بناءً على هيئة الكعبة وأطلقوا عليها كعبة نجران. وهي قبة من آدم، ثلاثمائة جلد، إذ جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت له، أو مسترفد أرفد، وكانت بنو الحارث وخثعم وغيرهم، ممن يحل الأشهر الحرم^(٤). (* دير سرجس وبكس: ذكر الحموي أنه لراهبين بنجران وفيهما يقول الشاعر :

أيا راهبي نجران ما فعلت هند أقامت على عهدي فإني لها عبد^(٥).

(* ومن الأوضاع الدينية الجاهلية الأخرى: (* حادثة الأخدود: كانت اليهودية في حمير ورأسهم ذو نواس الحميري، الذي سار إلى نجران لنشر اليهودية، وكان في نجران عبد الله بن الثامر أصل النصرانية، فجمعهم ذو نواس ثم خيرهم بين اليهودية والقتل فاختراروا القتل، فخذ لهم الأخدود، وأحرقهم بالنار وقتل بالسيف حوالي عشرين ألفاً^(٦). (* بناء كنيسة القليس بصنعاء (٥٧١م): كانت الديانة النصرانية مدعومة بقوى خارجية مثل (الإمبراطورية الرومانية، والحبشة)، على عكس اليهودية، وبعد حادثة الأخدود كتب قيصر الروم للنجاشي في الحبشة يأمره بالذهاب إلى اليمن ونصرة نصارى نجران^(٧)، وبعد انتصار الحبشة واحتلالها لليمن

(١) ابن فهد، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دت، ج١، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ج١، ص ٣٦٢.

(٣) الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، (مصر: مطبعة مصطفى البابي، ١٩٤٨م)، ج٧، ص ٢١٦.

(٤) انظر: ياقوت الحموي، ج٥، ص ٢٦٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥١٤.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٩١.

(٧) المصدر نفسه.

بقيادة أبرهة الأشرم ، وعندما تمكن أبرهة من اليمن ، بنى كنيسة القليس بصنعاء للنجاشي، بهدف صرف الناس عن الكعبة إليها ، فغضب رجل من النساء من أهل الحجاز، فدخل كنيسة أبرهة وتغوط فيها ، فغضب أبرهة عندما علم بأن من فعل ذلك من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة ، فخرج أبرهة ومعه الفيل محمود متوجهاً إلى البيت لهدمه^(١). (*) ومن أديان العرب الأخرى : كانت النصرانية في ربيعة ، وغسان ، وبعض قضاة . واليهودية : في حمير ، وبني الحارث بن كعب ، وكندة . والمجوسية في تميم ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسياً ، وأبو سود جد وكيع بن حسان وغيرهما من رجالات العرب. وكانت الزندقة في بعض قرى أخذوها من الحيرة ، وبنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلهاً من حيس تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه ، وربما جعلوا فيه سويقاً ، فعبدوه دهرًا طويلاً ، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه^(٢).

(*) ومن طقوس العبادات الجاهلية أيضاً: (١) الحلة : كانت العرب في الجاهلية تحرم الصيد في النسك ولا يحرّمونه في غير الحرم^(٣). ومن القبائل التي دخلت الحمس : (خزاعة ، وكنانة ، والأوس ، والخزرج ، وجشم ، وبنو عامر بن صعصعة ، وأزد شنوءة ، وجرم ، وزبيد ، وبنو ذكوان من بني سليم ، وعمرو اللات ، وثقيف ، وخطفان ، والغوث ، وعدوان ، وقضاة ، ومدلج ، والحارث بن عبد مناف ، وعضل وحلفائهم). وبقية العرب يسمون الحلة. كانوا يقولون : نحن الحمس ، والاحمس في لغتهم : المتشدد في دينه ، ويقال : إنما سموا الحمس بالكعبة لأنها حمساء حجرها أبيض يضرب إلى السواد ويقال : سموا الحمس لشجاعتهم والحماسة^(٤). (٢) أكلة : كان يحرم الصيد في النسك فقط ، ويمنح لأغنياء أكثر أموالهم في النسك للفقراء ، ولا يلبسون الجدد ، ولا يدخلون من باب يأويهم ظل ما داموا محرمين ، ويدهنون ويأكلون أيام نسكهم وعند دخول مكة يتصدقون بكل ما لديهم من حذاء أو ثوب ، ولا يطوفون حول الكعبة إلا في ثياب جديدة وإن لم يجدوا ثياباً جديدة طافوا عراة ، ومن قبائل تهامة والسراة ، التي تسلك هذا المنهج : (عامر بن صعصعة ، وقضاة ، وختعم ، وبجيلة ، وهذيل بن مدركة ،

(١) المصدر نفسه . للمزيد انظر : سورة الفيل في القرآن الكريم وتفسيرها وما حل بأبرهة وحيشه .

(٢) ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، صححه وعلق عليه وراجع على نسخه جوتن ، ونسخة خطية أخرى في دار الكتب المصرية محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص ١٣

(٣) محمد بن حبيب البغدادي ، كتاب المحير ، ص ١٧٩ .

(٤) عمر بن فهد ، إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، تحقيق فهم شلتوت ، ج ١ ، ص ١٣ .

وبارق) (١). (٣) الطلس: يصنعون في إحرامهم ما يصنع الحلة، ويدخلون البيوت من أبوابها، ولا يئدون بناتهم، ومن قبائل السراة وتهامة التي تمارس هذه الأعمال، سائر أهل اليمن وحضرموت، وعك، وإياد بن نزار (٢).

ومن الطقوس الدينية لأهل اليمن والسروات في موسم الحج: أنهم يحلقون رؤوسهم. فيضع كل رجل منهم على رأسه قبضة من الدقيق، فإذا حلقوا رؤوسهم سقط ذلك الدقيق، ويجعلونه صدقة، وهناك أناس من الضركاء (٣). يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيلقون الشعر ويستفيدون من الدقيق (٤). ومن القبائل التي لا ترى للحرم ولا للشهر الحرام حرمة مثل: طيء، وخثعم، وأحياء من قضاة، ويشكر، والحارث بن كعب (٥). وجميعهم أعداء في الدين والنسب (٦). ويطلق على خثعم الفجار لأنهم لم يحجوا البيت في الجاهلية (٧)؛

(*) ومن أشهر الأصنام في الجاهلية: (١) اللات: كانت في الطائف لتثيف على صخرة. وكانوا يسترون بيته ويضاهون به الكعبة، وله محجة وكسوة وسدنته لآل أبي العاص من بني سيار بن مالك من ثقيف (٨). (٢) جهار: لهوازن بعكاظ ومعهم محارب. وسدنته كانت لآل عوف ويقع على سفح أطحل (٩). (٣) ذو الخلصة: بيت تعبده بجيلة، وخثعم، والحارث بن كعب، وجرم، وزبيد والغوث، وسدنته بنو هلال بن عامر يقع في عبلاء قريباً من مكة (١٠). (٤) يغوث: لمذحج في أنعم وقاتلتهم عليه بنو مراد وهربوا به إلى نجران، وجعلوه عند الضباب من بني الحارث بن كعب واجتمعوا عليه جميعاً (١١). (٥) المنطبق: للسلف وعك والأشعريون، وكان مصنوعاً من النحاس، ولما كسر وجد بداخله سيفاً اصطفاه رسول الله ﷺ فسمى

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ١٧٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الضركاء: الفقير الهالك لسوء الحال.

(٤) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٥، ص ٢٧٨.

(٥) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢١٦.

(٦) الزمخشري، ربيع الأبرار، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٧) ابن حبيب البغدادي، المحبر، ص ٢١٢.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣١٥.

(٩) المصدر نفسه، ص ٣١٢. ٣١٥.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣١٢. ٣١٥.

(١١) المصدر نفسه، ص ٣١٧.

(محنفاً)^(١) . (٦) ذو الكفين: صنم عمرو بن حممة الدوسي في سروات غامد وزهران .
 (٧) سعد: مالك وملكان ، ابني كنانة بساحل تهامة وكان صخرة طويلة^(٢) . (٨) ذو
 الشرى : لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد^(٣) . (٩) رثام : للأزد صنم أنثى
 وكان لسائر قضاة^(٤) . (١٠) صنم سواع: لهذيل^(٥) . (١١) عائم كان لأزد السراة .
 (١٢) سعير: صنم عنزة . (١٣) صنم نسر: لحمير آل ذي الكلاع .

انتشرت عبادة الأصنام بين القبائل التهامية والسروية ، واتخذت حول بيوت
 العبادة أماكن حددت بحدود ، فما كان داخلًا عُدَّ حرماً آمناً ، وما كان خارجاً لا يُعد
 حرماً ، وأقدس مكان في المعبد هو البيت ، أي الغرفة التي تضم الصنم أو الأصنام .
 وكانت الكعبة في مكة تسمى البيت ، ويعرف عند العربية الجنوبية أن البيت هو المكان
 الذي توضع فيه الأصنام ، ففي نجران بيت عبادة عرف بكعبة نجران ، وكذلك صنمي
 ذي الخلصة واللات^(٦) .

٢- نور الإسلام يشع في بلاد تهامة والسراة :

عند ظهور الإسلام ، كان أغلب سكان تهامة والسراة على الوثنية ، ويسيرون على
 خطى قبيلة قريش التي وقفت في وجه النبي (ﷺ) ، فحاربوه وشككوا في الرسالة التي
 جاء بها ، وامتد شرهم إلى تحذير القبائل الأخرى من السماع إلى دعوة الرسول (ﷺ)^(٧) .
 ونجد الرسول (ﷺ) يعرض دينه على القبائل التي تأتي إلى الحج ، بل ذهب إلى أهل
 الطائف ودعاهم إلى الإسلام ، لكنهم لم يقبلوا دعوته ، وفضلوا البقاء في صف قبيلة
 قريش وأعاونها^(٨) .

- (١) المصدر نفسه .
- (٢) جواد علي ، المفصل ، ج٦ ، ص ٢٧٣ .
- (٣) المرجع نفسه ، ج٦ ، ص ٢٧٥ .
- (٤) المرجع نفسه ، ج٦ ، ص ٢٨٨ .
- (٥) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج٥ ، ص ١٦١ .
- (٦) جواد علي ، المفصل ، ج٦ ، ص ٤٤٥ . ٤٤٦ . لم تكن الوثنية هي الديانة الموجودة في جزيرة العرب أو في بلاد
 تهامة والسراة ، وإنما كان هناك ديانات النصرانية ، واليهودية ، والمجوسية ، والصائبة ، ومن لا يزال على ملة
 الحنيفية . ونقول إن دراسة عقائد وديانات تهامة والسراة قبل الإسلام من الموضوعات التي لم تدرس ، لهذا
 أن نرى باحثاً جاداً يدرسها دراسة علمية موثقة .
- (٧) كتب السير مليئة بالأحداث والتفصيلات التي سلكتها قريش في محاربة الرسول (ﷺ) ، وعدم قبول رسالته .
 للمزيد انظر: تاريخ السيرة لابن هشام ، وزاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية .
- (٨) المصادر نفسها .

وهناك سرايا عديدة بعثها النبي (ﷺ) إلى أهل تهامة والسراة يدعوهم إلى الإسلام^(١)، ومن تلك السرايا (١) سرية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى تربة بعثها رسول الله (ﷺ) في شعبان سنة سبع للهجرة في ثلاثين رجلاً إلى عجز هوازن بتربة على طريق صنعاء ونجران فهربت هوازن وعاد عمر إلى المدينة. (٢) سرية خالد بن الوليد: على بن جذيمة من كنانة في تهامة بناحية يلملم. (٣) سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى صنم ذي الكفين بأرض السراة، فهدمه وقدم معه من قومه عدد من المسلمين. (٤) سرية قطبة بن عامر بن حديدة ومعه عشرون رجلاً إلى ناحية بأرض خثعم في السراة. (٥) سرية خالد بن الوليد: إلى بن عبد المدان في نجران. وبعد أن قضى الرسول (ﷺ) في مكة نصف شهر بعد فتحها نزلت هوازن وثقيف واد من أودية تهامة وكنموا للمسلمين في الشعاب والمضايق يريدون قتال النبي (ﷺ) ومعهم النساء والأموال، ورئيس هوازن يومئذ مالك بن عوف، ومعه ثقيف، فوافاهم الرسول (ﷺ) بمن معه من المسلمين فهزمهم وغنم المسلمون أموالهم وقسمها النبي (ﷺ) على المؤلفلة قلوبهم، ثم خرج بعد انتصاره في حنين لفتح الطائف، وجعل خالد بن الوليد على مقدمته فمر بنخلة اليمانية، بقبر أبي رغال، ثم جاء إلى قرن المليح وهو أحد أودية الطائف، وفتح الطائف في السنة الثامنة من الهجرة.

انتشر الإسلام في تهامة والسراة، ودخل فيه أهل تباله وجرش من غير حرب في السنة العاشرة للهجرة (٦٣٠ م)^(٢). وكتب الرسول (ﷺ) إلى عدد من عشائر السروات مثل: (١) بنو الحارث من نصارى نجران ومن تبعهم بأن لهم ما تحت أيديهم، ولهم أيضاً جوار الله ورسوله، لا يتغير شيء فيما كانوا عليه، ما نصحوا وأصلحوا في أنفسهم وبلادهم^(٣). (٢) كتب رسول الله (ﷺ) إلى قبيلة خثعم قائلاً: " هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضرة بيشة وباديتها^(٤)، إن كل دم

-
- (١) سمع أهل تهامة والسراة بدعوة الإسلام خلال فترة الدعوة المكية، بل اعتنق بعضهم الإسلام آنذاك. وقصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي مفصلة في كتب السير منذ أن التقى الطفيل بالرسول (ﷺ) في السنة السابعة من النبوة حتى دخل معظم قبائل دوس في الإسلام في تلك السنة. ومصادر السيرة أفاضت الحديث في هذا الجانب، وذكرت أقواماً وأشخاصاً آخرين من تهامة والسروات اتصلوا بالرسول (ﷺ) في المرحلتين المكية والمدينة.
- (٢) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠، وكثير من كتب التاريخ المبكرة فصلت الحديث عن انتشار الإسلام في الطائف ومكة المكرمة وما يقع جنوبيهما حتى حواضر اليمن الكبرى.
- (٣) كتب التاريخ الحولية مثل: الطبري، وابن الأثير، وابن خلدون وغيرهم ذكروا تفصيلات كثيرة عن علاقة دولة الرسول (ﷺ) بأهل نجران وبخاصة النصارى.
- (٤) قبائل خثعم تأخرت في إسلامها في عهد الرسول (ﷺ) وأرسلت لهم بعض الجيوش والسرايا لمحاربتهم حتى دخلوا الإسلام.

أصبتموه في الجاهلية فهو عندكم موضوع ، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عرار تسقيه السماء ... له نشره وأكله" ^(١) . (٣) كتب الرسول (ﷺ) لعشيرة بارق من الأزدي ، فقال : " هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق ، أن لا تجز ثمارهم ، ولا ترعى بلادهم في ربيع أو صيف إلا بمسالة من بارق ، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام" ^(٢) . (٤) عندما أسلم مالك بن عوف من أهل الطائف ، جعله الرسول (ﷺ) أميراً على من أسلم من قومه من ثقيف ، وأمره بمحاربة المشركين في بلاده ^(٣) . (٥) وقد وفد مدحج على النبي (ﷺ) وعليه ظبيان بن حداد ، فقالوا : " نحن قوم من سراة مدحج من يحابر بن مالك" ^(٤) . (٦) في كتب التراث الإسلامي وبخاصة كتب السير ، والطبقات ، والتراجم ، والتواريخ الحولية تفصيلات كثيرة عن وفود السروات وتهامة الأخرى مثل : وفد الأزدي بقيادة صرد بن عبد الله الأزدي ، ووفد نجران الذين قدموا إلى المدينة مع خالد بن الوليد ، ووفود عنس ، ومراد ، وزبيد ، وبجيلة ، والأشعريون ، والعكيون وغيرهم ^(٥) .

(*) أما الردة عن الإسلام : كانت أول ردة في عهد الرسول (ﷺ) على يد الأسود العنسي ، واسمه عبهلة بن كعب بن عوف العنسي ، وعنس بطن من مدحج ^(٦) . ولم يطل عصر ارتداد عبهلة ، لأنه قتل قبل وفاة الرسول (ﷺ) ^(٧) . وكان لأهل تهامة والسراة مواقف متباينة من الردة ، فالكثير منهم بقوا على الإسلام ، وظهر مرتدون في عشائر عديدة من بلدان تهامة والسراة مثل : بعض الأشعريين ، والبارقيين ، والزبيديين ، والأزديين ، والخنعميين وغيرهم ^(٨) . ويذكر أن أهل نجران ولقيف من أهل السراة

(١) انظر: ابن سعد ، الطبقات ، مج ٢ ، ص ٢٦٦ . وللمزيد أيضاً انظر : السيرة لابن هشام ، وابن كثير .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، مج ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ، للمزيد أيضاً : انظر: ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٢٩ .

(٤) انظر ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣٠ . ونقول لأن تاريخ بلاد تهامة والسراة خلال العهد الجاهلي ، والفقود الأولى من عصر الإسلام مازالت بحاجة إلى دراسات علمية أكاديمية ، ونأمل من المؤرخين والباحثين في جامعات الجنوب السعودي أن يدرسوا هذه البلاد تاريخياً وأثرياً وحضارياً فهي جديرة بذلك .

(٥) انظر: ابن سعد ، الطبقات ، مج ٢ ، ص ٢٤٢ وما بعدها ، والنويري ، نهاية الأرب ، ج ١٨ ، ص ٥٩ ، ١٢٠ . وتاريخ الوفود التي قدمت على رسول الله (ﷺ) من تهامة والسراة واليمن مازالت بحاجة إلى دراسة علمية موثقة .

(٦) النويري ، نهاية الأرب ، ج ١٩ ، ص ٦٠ .

(٧) الطبري ، الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ وما بعدها .

(٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥١ وما بعدها . وللمزيد انظر : عن تاريخ الردة في كتب : الكامل في التاريخ لابن الأثير ، وتحارب الأمم لابن مسكويه ، والبداية والنهاية لابن كثير .

تصدوا للمرتدين وحاربوهم حتى جاء مدد الخليفة الراشد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي قضى على حركة الارتداد في عموم الجزيرة العربية^(١). وهناك أقوام كثيرون بقوا على دين الإسلام ، مع أن بعضهم كانوا في حيرة من أمرهم ، هل يرتدون أم يبقون على الإسلام؟^(٢) وأحياناً كان لوجهاء القبائل وأعيانها وحكائها دور في نصح أهلهم وأقوامهم للبقاء على الإسلام ، ويظهر ذلك واضحاً مع أهل ثقيف الذين هموا بالارتداد بعد موت الرسول (ﷺ) ، إلا أنهم استشاروا عثمان بن أبي العاص ، وكان مطاعاً ووجيهاً فيهم ، فقال لهم " لا تكونوا آخر العرب إسلاماً ، وأولهم ارتداداً " ^(٣) ، فنفهم الله برأيه . وكم نحن في أمس الحاجة إلى العقلاء والحكماء الذين يجنبون البلاد الخراب والدمار عبر أطوار التاريخ .

(*) التهاميون والسريون في الفتوح الإسلامية :

إن الدارس لكُتب التاريخ السياسية والعسكرية مثل: مؤلفات البلاذري ، واليعقوبي ، والطبري ، والأزدي ، وابن عبد الحكم ، وابن مسكويه ، والمسعودي ، وابن الأثير ، وابن خلدون يجدها تحتوي على معلومات كثيرة عن أهل السراة وتهامة (أفراداً ، وجماعات ، وعشائر ، وقبائل) ودورهم في فتوحات الإسلام المبكرة في بلاد الشام ، وأرض العراق وفارس ، وفي مصر والسودان ، وشمال إفريقيا والأندلس ، وفي بلاد المشرق حتى الهند والسند^(٤) . كما ظهر من هذه الأوطان التهامية والسروية من ساهم في ميادين الحضارة الإسلامية في كثير من بلدان العالم الإسلامي^(٥) .

- (١) الخليفة الراشد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي تربى في مدرسة الرسول الكريم (ﷺ) ، كان حازماً وقوياً في محاربة المرتدين وهزيمتهم ، وإعادة البلاد الإسلامية إلى سابق عهدها ، كما كانت في عهد الرسول (ﷺ) .
- (٢) قبائل الجزيرة العربية تباينت في مواقفها من الردة ، فهناك قبائل كبيرة في جنوب ووسط الجزيرة رفضت الإسلام وارتدت ، وهناك أقوام في عشائر وقبائل حذت حذو تلك القبائل الكبيرة المرتدة ، وآخرون ، وهم كثيرون ، بقوا على دين الإسلام ، وتصدوا للمرتدين في أوطانهم وفي عموم بلاد العرب .
- (٣) انظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٧٩ . ودراسة تاريخ الردة في أرض تهامة والسراة مازال بحاجة إلى دراسات مطولة وموثقة .
- (٤) نأمل أن نرى طلاباً ومؤرخين جادين يدرسون إسهامات أهل هذه البلاد الجنوبية السعودية في الحياة السياسية والحربية عبر عصور التاريخ الإسلامي .
- (٥) هناك علماء وأدباء وشعراء ورجال مال وإدارة من أهل السراة وتهامة بذلوا جهوداً طيبة في بناء الدولة الإسلامية في القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة والحديثة والمعاصرة . ونأمل أن نرى من يدرس هذه الموضوعات دراسة علمية ، فتخرج في هيئة رسائل أكاديمية أو بحوث علمية محكمة .

رابعاً : صور من الحياة السياسية :

١- من التاريخ القديم :

أ - نصاري نجران وذو نواس أقام أهل نجران على دين عيسى فدعاهم ذو نواس إلى دين اليهودية فأبوا، فسار إليهم في أهل اليمن ، ثم خد لهم الأخاديد وقتل منهم حوالي عشرين ألفاً أو يزيدون^(١) ويقال أن سبب غزوة ذي نواس لأهل نجران أن يهودياً كان بنجران ، فعدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً ، فرفع أمره إلى ذي نواس ، وتوسل له باليهودية ، واستصره على نصاري نجران فغزاهم ومثل بهم^(٢) ، وربما كراهية ذو نواس للنصرانية هو الذي جعله ينزل العقوبة والقتل والحريق بأهل نجران . ويذكر أن رجلاً من نصاري نجران نجا ، يقال له (دوس ذو ثعلبان) فذهب إلى قيصر الروم واستنجده فأرسل القيصر إلى نجاشي الحبشة يأمره بغزو اليمن ونجران ، فأرسل ملك الحبشة أبرهة الأشرم ومعه (٧٠) ألفاً من الأحباش حتى دخل اليمن واستولى عليها^(٣) .

ب - أبرهة الحبشي وغزو مكة : استقر أبرهة في اليمن ، وبنى بها قليساً (كعبة) بهدف صرف الناس من الحج إلى الحجاز ، ثم قرر غزو مكة وهدم الكعبة ، فجهز جيشاً ومعه الفيل محمود ، وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلاً ، فأعظمه العرب وخافوه ورأوا جهاده ، والوقوف في طريقه^(٤) . فخرج له رجل من أشراف اليمن يدعى (ذو نضر) ، وجمع من أجابه من العرب لحرب أبرهة ، إلا أنه هزم ووقع في الأسر . ولما وصل جيش أبرهة إلى أرض خثعم عرض له (نضيل بن حبيب الخثعمي) فقاتله ، فانهزم نضيل وأخذ أسيراً ، فلما هم أبرهة بقتله قال له أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب وهاتان يدي لك على قبائل خثعم (شهران وناهس) بالسمع والطاعة . فأعفاه وخلي سبيله وخرج معه يدلّه على الطريق^(٥) .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية . (بيروت ، ١٤٢٤هـ) ص ٥٦٣ .

(٢) ذكرت قصة أصحاب الأخدود وتعذيبهم في القرآن في سورة البروج ، وحوثها كذلك كتب التراث الكبرى مثل : " الكامل لابن الأثير ، وتاريخ الأمم للطبري ، وغيرها ، وعرفان شهيد ، شهداء نجران .

(٣) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٥٦٣ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ط ٢ ، (١٤٢٤هـ) تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

وعند مرور أبرهة بالطائف خرج إليه بعض الوجهاء والأعيان فقالوا له : أيها الملك إنما نحن عبيدك ، سامعون مطيعون لك ، ونحن نبعث معك من يدلك على البيت الذي تريد ، فتركهم وبعثوا معه أبو رغال حتى أنزله أرض المغمس ، فلما نزلها مات أبو رغال ، وصار العرب يرحمون قبره^(١) . أما ما كان من أمر أبرهة والفيل ومحاولة هدم الكعبة وحماية الله لبيته الحرام ، فهذه القصة ذكرت في القرآن الكريم في سورة كاملة هي سورة الفيل .

من أيام العرب المشهورة : أي بعض معاركهم وحروبهم وأيامهم في الجاهلية ، التي كانت بين القبائل وجل أسبابها إما دفاعاً عن عرض ، أو حمية قبلية ، أو غزو وغارات بعضهم على بعض ، ومنها : (*) يوم الكلاب الثاني : سببه أن رجلاً من بني قيس بن ثعلبة قدم أرض نجران على بني الحارث بن كعب وهم أخواله فحدثهم أنه أصفق على بني تميم وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها . فاجتمعت بنو الحارث من مذحج ، وأحلافهم من نهد وجرم فاجتمعوا في معسكر عظيم لا يعلم في الجاهلية أكثر منه وساروا يريدون بني تميم ، فنزلت عمرو بن حنظلة الدهناء ونزلت سعد والرياب الكلاب ، وأقبلت مذحج ومن معها من قضاة فقصدوا الكلاب وقاتل القوم قتالاً شديداً يومهم أجمع ، وكان أول من انهزم من مذحج ومن معها من قضاة فقصدوا الكلاب وأسر عبد يغوث الحارثي رئيس مذحج^(٢) .

(*) يوم المروت : هو يوم بين تميم وعامر بن صعصعة وسببه التقاء قضب بن عتاب وبجير بن عبد الله بعاظ فدار بينهم حوار فتلاعنا وتداعيا ، فجمع بجير بني عامر وأغار بهم على بني العنبر وأتى صريخ بن العنبر بعمر بن تميم وبنو مالك بن حنظلة وبني يربوع فجرى القتال ، وأسر نعيم بن عتاب القشيري وقتله ، وحمل كدام بن بجيلة المازني على بجير فعانقه ، فأقبل كدام : ولم يكن لقضيب هم إلا بجير فقال كدام يا قضب أسيري ، فخلى عنه كدام وشد على قضب فضربه فقتله ، واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسببهم من بني عامر وعادوا^(٣) .

(*) يوم فيف الريح : وهو بين بني عامر بن صعصعة والحارث بن كعب ، وكان خبره أن بني عامر تطلب بني الحارث إتاوة كثيرة فجمع لهم الحصين وهو ذو الغصة واستعان ببعض قبائل سعد العشيرة ، ومراد ، وصداء ، ونهد ، وخثعم ، وشهران ،

(١) وهو الموضع الذي ربط فيه الفيل محمود ، انظر: البكري ، معجم ما استعجم ، ص ٦٢ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، انظر أيضاً ، كتاب

أيام العرب ، لأبي عبيدة ، ص ٤٢٩ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ص ١٧٦ .

وناهس ثم أقبلوا يريدون بني عامر وهم في فيف الريح فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام بفيف الريح ، فالتقى الصميل بن العود الكلابي وعمرو بن صبيح النهدي فطعنه عمرو ، فاعتق الصميل فرسه وعاد فلقية رجل من خثعم فقتله وأخذ درعه وفرسه وشهدت بنو نمير فيف الريح مع عامر بن الطفيل^(١) .

ومن أيام العرب الأخرى : (أ) الرزم : كان بين مراد وهمدان على صنم يغوث وكان لهؤلاء مرة ، وعند هؤلاء مرة ، فأرادت مراد أن تغلب عليه فقاتلت همدان واستولت على الصنم^(٢) . (ب) الأرنب : كان لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب من رهط عبد المدان^(٣) . (ج) ذي علق : يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد^(٤) . (د) يوم اللوى : من أيام هوازن وغطفان وقتل فيه عبد الله بن الصمة أخو دريد بن الصمة^(٥) . (هـ) يوم حوزة الأول : ووقعت بين سليم وغطفان بسبب مقتل معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي . (و) يوم رحرحان : وهو لعامر على تميم . ورحرحان : اسم جبل قريب بين عكاظ خلف عرفات^(٦) . (ز) يوم البيداء ، والسلان : البيداء أول وقعة كانت بين تهامة واليمن ، وفي هذا اليوم تمذجت مذحج وسارت إلى تهامة ، ويوم السلان : كان بين أهل تهامة واليمن^(٧) . (ح) أيام الفجار : من الحروب المعروفة في الجاهلية ، فالفجار الأول : بين قريش وقيس بن عيلان ، والفجار الثاني هاجه رجلاً من بني غفار من كنانة قدم سوق عكاظ ، والفجار الثالث وسميت بالفجار لما كانوا يعظمون من الدماء وقطع الأرحام^(٨) .

٢- صور من التاريخ الإسلامي :

أ- في عصر الرسول والخلافة الراشدة : وقوف أهل تهامة إلى جوار قريش^(٩) ، وفي هذه الغزوة أقبلت قريش إلى المدينة حتى نزلت بمجتمع الأسيال ومعهم الأحابيش

- (١) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ . انظر أيضاً ، غيثان بن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج ١٠ ، ص ٣٩ .
- (٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ٥٦٢ .
- (٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٥٧ .
- (٤) إبراهيم شمس الدين ، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام . ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤٢٢هـ) ، ص ١٠٥ .
- (٥) جواد علي ، المفصل ، ج ٥ ، ص ٣٦٢ .
- (٦) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .
- (٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .
- (٨) ابن حبيب ، المنمق في تاريخ قريش ، تحقيق : خورشيد فاروق أحمد ، ص ١٦٠ ، ١٦٤ .
- (٩) الطبري ، تاريخ ، ص ٣٢٤ .

وبني كنانة وأهل تهامة وغطفان ومن تبعهم من أهل نجد. وفي صلح الحديبية جاء بديل بن ورقاء من أهل تهامة إلى الرسول (ﷺ)، ونصحه وقال: "إني تركت كعب بن لؤي وعامر قد نزلوا على مياه الحديبية، فقال له الرسول (ﷺ) إنهم لا يريدون قتالاً وإنما أرادوا أداء العمرة، ثم سار إليه عروة بن مسعود الثقفي فسبه وتصدى له أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وبعض الصحابة^(١). وبعد أن قضى رسول الله (ﷺ) بمكة شهر عام الفتح نزلت هوازن وثقيف وادياً من أودية تهامة، وكنوا للمسلمين في الشباب يريدون قتال النبي (ﷺ) ورئيس هوازن آنذاك مالك بن عوف ومعه ثقيف، فتصدى لهم الرسول (ﷺ) وهزمهم وغنم أموالهم وقسمها على المؤلفة قلوبهم^(٢)

بعد انهزام ثقيف في غزوة حنين تحصنت في الطائف وحاصروهم الرسول (ﷺ) والمسلمون نصف شهر^(٣) يقول ابن إسحاق: "فحاصروهم (يقصد المسلمون) وقتلوهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل ورمى الرسول (ﷺ) أهل الطائف بالمنجنيق^(٤). وتذكر بعض الروايات أن رسول الله (ﷺ) انصرف عن الطائف حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ومعه سبي كثير من هوازن، فقال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله أذع عليهم فقال: "اللهم أهد ثقيف وأت بهم"، وجاءه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقسم لهم من الغنائم^(٥)، كما قال الرسول (ﷺ) لوفد هوازن "أخبروا مالك بن عوف إن أتاني مسلماً رددت عليه ماله وأهله وأعطيته مائة من الإبل". فسمع مالك بذلك فأتى الرسول وهو بالجعرانة وأسلم فجعله أميراً على من أسلم من قومه، ثم قدم وفد ثقيف على رسول الله (ﷺ) مسلمين في رمضان في السنة التاسعة من الهجرة^(٦).

ومن السرايا التي بعثها الرسول (ﷺ) لبلدان تهامة والسراة وأجزاء من جنوبي الحجاز (١) سرية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى تربة في شعبان من السنة السابعة من الهجرة^(٧). (٢) سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى صنم ذي الكفين في سروات غامد وزهران في شهر شوال من السنة الثامنة الهجرية^(٨). (٣) سرية قطبة بن عامر

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٠، ٤٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٤٤.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ٣٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٤٨.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩.

(٧) النويري، نهاية الأرب، ج ١٧، ص ٢٧٠.

(٨) ابن سعد، الطبقات، مج ٢، ص ١٥٧.

بن حديدة إلى خثعم بناحية بيشة في شهر صفر في السنة التاسعة الهجرية^(١). (٤) سرية خالد بن الوليد لأهل نجران إلى قبيلة الحارث بن كعب في نجران ومن خالطهم من أهل نجران في السنة العاشرة من الهجرة^(٢). (٥) سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بناحية يلملم ، ويعرف بيوم العميصاء وذلك بعد عام الفتح^(٣) .

ولأهل تهامة والسراة بعض المواقف الإيجابية في حروب الردة ، فتذكر بعض المصادر أن الخليفة أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) أرسل إلى عبد الله بن ثور في تهامة يأمره أن يجمع إليه العرب ومن استجاب من تهامة ويقوم بمكانه حتى يأتيه الأمر بقتال المرتدين ، وسار المهاجر بن أبي أمية من قبل الخليفة أبو بكر في المدينة لقتال المرتدين في السراة وأرض اليمن ، وانضم إليه خالد بن أسيد من مكة ، وعبد الرحمن بن أبي العاص من الطائف ، ثم جرير بن عبد الله البجلي ، وعبد الله بن ثور وفروة بن مسيك وساروا جميعاً إلى نجران لحرب المرتدين ، وطلب المرتدون الأمان فأبى أن يؤمنهم وانقسمت جيوش المسلمين إلى قسمين ، وكان المهاجر على أحدهما وتمكن من هزيمتهم وكسر شوكتهم في السراة ونجران وبلاد اليمن^(٤) . وبعد أن استقر الأمر السياسي في عموم اليمن جعل الخليفة أبو بكر عليها أميرين فيروز والمهاجر بن أبي أمية ، وعلى حضرموت أميرين ، وكتب إليهم بأن لا يستعينوا بمرتد في الجهاد^(٥) .

ومن قضاة وعمال الخليفة أبو بكر الصديق في تهامة على الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى خولان يعلى بن أبي أمية ، وعلى زبيد أبو موسى الأشعري ، وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى نجران وعبد الله بن ثور إلى جرش^(٦) . كما أمر الخليفة أبو بكر الصديق جرير بن عبد الله باستنفار من ثبت على الإسلام وقتال من ارتد عن الإسلام في أرض السراة وأن يأتي خثعم فيقاتل من ارتد غضباً لذي الخلصة^(٧) ، فخرج جرير (رضي الله عنه) وفعل ما أمره به^(٨) .

- (١) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ص ١٥٧ .
- (٢) الطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٨١ .
- (٣) الفاسي المكي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين : تحقيق: محمد عبد القادر ، ط١ ، (١٤١٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .
- (٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥١ ، ٥٥٥ .
- (٥) المصدر نفسه ، ص ٥٥٨ .
- (٦) النويري ، نهاية الأرب ، ج ١٩ ، ص ١٤٤ .
- (٧) ذي الخلصة : مروءة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج لخثعم وبجيلة وأزد السراة ومن جاورهم .
- (٨) ابن الأثير ، الكامل ، ص ٢٧٧ .

وتشير بعض كتب التراث إلى صور من إسهامات أهل تهامة والسراة في فتوحات الشام، فيذكر أن الخليفة أبو بكر الصديق وجه الجيوش لقتال الروم في الشام وكان ممن أمرهم على تلك الجيوش خالد بن سعيد بن العاص حيث أمره بنزول تيماء ودعوة من حوله من العرب ضد الروم، واجتمعت إليه جموع كثيرة، وعندما علمت الروم جمعت الجموع، فأرسل أبو بكر يستحث المسلمون على الجهاد في بلاد الشام والعراق، فكانت أول الجموع التي قدمت المدينة عكرمة بن أبي جهل ومعه أهل تهامة، وعمان، والبحرين، والسرو، فكتب أبو بكر الصديق إلى أمراء الصديقات أن يبدلوا من استبدل، فكلهم استبدلوا، فسمى ذلك الجيش البديل، ووجههم جميعاً لمساعدة خالد بن سعيد في حربه ضد الروم^(١).

أما جبهة بلاد فارس فتذكر المصادر أن جمعاً من سروات بجيلة قدمت على الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالمدينة، وكانوا يريدون الجهاد ببلاد الشام، فأشار عليهم بضرورة الخروج إلى العراق لمساعدة المجاهدين على ثغور الفرس، واستعمل عرفجة بن هرثمة على جديلة من بجيلة، وجريراً على من كان من بني عامر، إلا أن بجيلة طلبت من الخليفة أن يعفيهم من إمرة عرفجة، فقال عمر بن الخطاب له: "إن هؤلاء استعضوني منك، وزعموا أنك لست منهم فما عندك؟ فقال: صدقوا، وما يسرني أني منهم، أنا امرؤ من الأزد ثم من بارق في كهف لا يحصى عدده، فقال عمر: نعم الحي الأزد، يأخذون نصيبهم من الخير والشر" فجعل عليهم جريراً وبعثه مدداً إلى المثنى بن حارثة حتى نزل ذي قار^(٢). كما نزل على الخليفة عمر وفد من بني كنانة والأزد وعددهم سبعمائة رجل، وسألوا عمراً أن يبعثهم إلى الشام، لكنه استنفرهم إلى العراق، وأمر على بني كنانة غالب بن عبد الله، وعلى الأزد عرفجة بن هرثمة وعامتهم من بارق وخرج كل منهم في قومه حتى قدموا على المثنى بن حارثة^(٣). وخرج إليه أيضاً المثنى الجشمي في جيشم بن سعد فأمره عليهم وبعثه مدداً إلى العراق^(٤). وجاء أناس من خثعم وعليهم عبد الله بن ذي السهمين فأمره عليهم وبعث به مدداً إلى بلاد فارس، فسار المثنى بن حارثة بمن معه حتى نزل الفرات وجعله بينهم وبين العجم، والتقى الجيشان يوم البويب في السنة الثالثة عشرة للهجرة، واشترك كل من: المنذر بن الحسان وجريير بن عبد الله في قتل

(١) الطبري، الأُمم والملوك، ج٢، ص ٥٧٧

(٢) الطبري، الأُمم والملوك، ج٢، ص ٥٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٨٢ وما بعدها.

المرزبان الفارسي، واختصما على سلاحه فتقاضيا إلى المثني فجعله قسمة بينهما^(١). وتشير بعض المصادر إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص، وكان على صدقات هوازن، فجاء سعد إليه فأمره على حرب العراق، فخرج من المدينة في أربعة آلاف ممن قدم عليه من أهل السراة واليمن، وعلى أهل السروات حميضة بن النعمان البارقي وهم: بارق، وأمع، وغامد، وسائر إخوتهم في سبعمائة، واليمن ألفان وثلاثمائة منهم النخع بن عمرو، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف مقاتل وذراريهم ونسائهم، فرفضوا التوجه إلى العراق وأرادوا السير إلى بلاد الشام، فلما رأى الخليفة ذلك بعثهم بنصفهم إلى العراق والآخر إلى الشام. وخرج إلى العراق أعداد كثيرة من مذحج وعليهم عمرو بن معديكرب، وأبوسبره الجعفي، ويزيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنب وهؤلاء جميعاً خرجوا من المدينة أربعة آلاف من أهل اليمن، وألف من سائر الناس، وكان النصر حليف المسلمين^(٢). وممن شارك في القادسية أبو محجن الثقفي، وعمرو بن معد كرب الزبيدي وغيرهما من فرسان العرب.

وفي عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عقدت بعض الألوية والرايات لبعض السرويين والتهاميين ومن جاورهم في معارك الجمل وصفين. فعقد لمذحج، والأشعريين راية وولى عليهم زياد بن النضر الحارثي، وعقد لقيس وعبس وذبيان راية وولى عليهم سعد بن مسعود الثقفي، وعقد لكندة وحضرموت وقضاعة راية وولى حجر بن عدي الكندي، وعقد للأزد وبجيلة وختعم وخزاعة راية وولى عليهم محنف بن سليم الأزدي، وشهد هؤلاء جميعاً الجمل، وصفين، وكان على الرجالة جندب بن زهير الأزدي^(٣). وفي يوم صفين عبأ الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الناس ليلته حتى الصباح، وزحف بالناس، وخرج إليهم معاوية (رضي الله عنه) في أهل الشام، ونظر علي بن أبي طالب إلى قبائل أهل الشام فعرف مواقفهم، فقال للأزد أكفونا الأزد، وقال لختعم: أكفونا ختعم، وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام، إلا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد، مثل بجيلة، فلم تكن بالشام منها إلا القليل فصرههم علي على لحم، فاقتتلوا قتالاً شديداً^(٤).

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٨٢ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٨٢ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٨٢ وما بعدها.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار القلم بيروت، ١٩٩٥ م.

ومن أدوار أهل السراة وتهامة في عصر بني أمية (٤٠-١٣٢هـ/٦٦٠-٧٤٩م) أن جهز الخليفة عبد الملك بن مروان جيشاً إلى تهامة وأجزاء من الحجاز لمحاربة عبد الله بن الزبير وولى قدامة بن مظعون على الجيش وأمره بالسير، ثم وجه الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله، ثم عزل قدامه وعين بدلاً منه الحجاج بن يوسف الثقفي فسار بالجيش حتى نزل الطائف^(١). وأقام شهراً، ثم كتب لعبد الملك يطلبه الإذن في قتال ابن الزبير فأذن له، وأمر أصحابه بأن يتجهزوا للحج ثم سار من الطائف حتى دخل مكة، وقد تحصن ابن الزبير في المسجد، فاستعمل الحجاج على المنجنيق ابن خزيمة الخثعمي^(٢). فخرج ابن الزبير من المسجد ومن معه فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم وقتل.

ويذكر أن بعض عشائر اليمن والسراة مثل: الأزدي، وقضاة، وختعم اجتمعوا ونزلوا في جبانة الصيادين. ومذبح وهمدان نزلوا في جبانة كندة ووقفوا إلى جوار زياد بن أبيه أثناء الصراع الذي جرى بينه وبين حجر بن عدي الذي كان يرفض سب الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على المنابر أيام الخليفة معاوية ابن أبي سفيان من قبل أمير الكوفة المغيرة بن شعبة، فلما اشتد أمره عزم على قتله إلا أن المغيرة توفى سنة (٥١هـ/٦٧١م)، فتولى الأمر بعده زياد بن أبي سفيان، ولما استقر له أمر الكوفة، عمد إلى أسره بأمر من معاوية بن أبي سفيان وقتله مع كثير من أصحابه^(٣).

في سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) بعث معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطاة، وهو من عامر بن لؤي، في ثلاثة آلاف فسار حتى قدم المدينة دون قتال، وأكره الناس على البيعة، ثم سار إلى اليمن فقتل عامل الخليفة علي بن أبي طالب على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، وقتل أيضاً جماعة من شيعة علي في صنعاء وما حولها، فأرسل له علي بن أبي طالب جارية بن قدامة السعدي في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين فسار جارية حتى أتى نجران فقتل بها ناس من شيعة عثمان، وهرب بسر وأصحابه^(٤).

ومن الخارجين على بني أمية (ثورة التوابين)^(٥) وهم جماعة خرجوا للطلب بدم الحسين بن علي من عبيد الله بن زياد، فخرج لقتالهم سليمان بن سرد بن

(١) الدينوري، المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٧.

(٣) الطبري، المصدر نفسه، ص ١٠٦٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ص ٧٣٢، ٧٣٣.

(٥) الطبري، المصدر نفسه، ص ١٠٨٨.

ذي كلاع، وأدهم بن محرز الباهلي، وربيعة ابن المخارق الغنوي، وجبله بن عبد الله الخثعمي، وكانت وقعة شديدة بنيهم وبين جند الشام، وانتهت بمقتل سليمان بن سرد وأصحابه^(١). كما خرج المختار بن أبي عبيد الله الثقفي إلى الكوفة مطالباً بدم الحسين بن علي بن أبي طالب، وأخرج منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع، فلما رأى بنو أمية ذلك، أؤكلوا أمره إلى عبيد الله بن زياد بن أبيه، الذي أرسل إليهم جيشاً على ميمنته الزبير بن خزيمة من خثعم، وعلى ميسرته ابن أقيسر الثقفي الخثعمي، واقتتل الطرفان قتالاً شديداً حلت فيه الهزيمة بجند الشام وذلك سنة (٦٦هـ/٦٨٥م)^(٢).

ومن أشهر ولاية وقادة بني أمية السرويين: (١) الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تقلد أمر العراق سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) بتكليف من الخليفة عبد الملك بن مروان بعد وفاة بشر بن عبد الملك^(٣). (٢) خالد ابن عبد الله بن أسد القسري الذي تولى أمر خراسان والعراق وقتل في نهاية الدولة الأموية^(٤) (٣) حازم بن سفيان الخثعمي من بني عمرو بن شهران، وقد أرسل لقتال شبيب الخارجي سنة (٧٦هـ/٦٩٥م) (٤) محمد بن القاسم الثقفي الذي فتح بلاد الهند^(٥) (٥) الجراح الحكمي الذي قاتل الترك في مرج أربييل عام (١١٢هـ/٧٣٠م) وقتل من معه في تلك المعركة^(٦). (٦) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ويرجع نسبه إلى قبيلة الأزدي وهو أحد قادة الدولة الأموية الشجعان، ولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك^(٧).

ومن ولاية أهل تهامة السراة بعض أمراء الطائف والحرمين، مثل: (١) نافع بن عبد الحارث، وهو من كبار الصحابة وفضلائهم، أسلم يوم الفتح، وأقام بمكة ولم يهاجر، واستعمله الخليفة عمر بن الخطاب على مكة والطائف وما جاورها من أرض السراة. (٢) مروان بن الحكم الذي ولاه الخليفة معاوية بن أبي سفيان أمر المدينة، وجمع له مكة والطائف وبعض أجزاء تهامة والسراة، ثم عزله عن المدينة سنة (٤٨هـ/٦٦٨). (٣) الحجاج بن يوسف الحكم الثقفي، الذي كان يعلم الصبيان بالطائف، وكانت أول

- (١) المصدر نفسه، ص ١٠٨٨.
- (٢) الطبري، المصدر نفسه، ص ١٠٨٨.
- (٣) الطبري، المصدر نفسه، ص ١١٢٧.
- (٤) المصدر نفسه، ص ١٤٠٧، ١٤٠٨.
- (٥) المصدر نفسه، ص ١٤٠٧.
- (٦) المصدر نفسه، ص ١٢٢٢.
- (٧) الفاكهي، أخبار مكة، ج ٢، ص ١٢.

ولايته تبالة من أرض السراة. (٤) عبد الواحد بن عبد الله النصري، الذي ولي الطائف عام (١٠٣هـ / ٧٢١م).

وإذا حاولنا معرفة كيفية إدارة البلاد السروية في العصر الجاهلي أو بعد ظهور الإسلام نجد أن المجتمع التهامي والسروي قبلي، وشيخ القبيلة هو المسيطر على مقاليد الأمور في قومه، ولكل قبيلة من قبائل السراة وتهامة شيخ تأتمر بأمره ولا تخرج عن طاعته، ومن أولئك المشايخ الجاهليين أبي أزيهر الدوسي الذي قال عنه ابن المجاور أنه سيد أهل السراة^(١). وأسرة آل عبد المدان سادة بني الحارث بن كعب وبقيت هذه الأسرة ممسكة بزمام الأمور في أرض نجران حتى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)^(٢).

والفاحص للأوضاع الإدارية في تهامة والسراة في العصر الجاهلي وعصور الإسلام المبكرة والوسيطه يجد أن القبيلة هي صاحبة الحل والعقد في أوطانها، وأن شيوخ القبائل يتولون إدارة أهلهم وبلادهم^(٣). والدارس لتاريخ ممالك اليمن القديمة يجد أن بعض ملوكها مدوا نفوذهم إلى بلاد نجران وأجزاء من تهامة والسراة، لكننا لا ندري مدى ذلك النفوذ واستمراريته، والشيء الذي لا شك فيه أن شيوخ قبائل هذه البلاد كانوا أصحاب السلطة في بلادهم حتى وإن دخلت بلادهم تحت نفوذ مملكة أو حكومة في اليمن أو الحجاز أو غيرها^(٤).

وعند ظهور الإسلام في الحجاز، وامتداده إلى بلدان السراة وتهامة نجد من أهل البلاد من دخل الإسلام، ثم عاد إلى بلاده كي ينشر الإسلام في قومه، ومنهم من كلف من قبل الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعده بالإمارة في دياره وعلى قومه^(٥).

(١) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص ٢١٠. وللمزيد انظر: ابن حبيب، المنعم، ص ٢٢٦، ياقوت الحموي، ج ٥، ص ٢٦٨.

(٢) انظر: ابن جريس، نجران (ط٢) (١٤٢٤هـ/٢٠١٣م)، ج ١، ص ٢٤ وما بعدها.

(٣) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٤) تاريخ تهامة والسراة السياسي والإداري قبل الإسلام، وفي العصور الإسلامية المبكرة الوسيطه من الموضوعات التي لم تدرس في هيئة بحوث أو رسائل علمية، ونأمل من المؤرخين والباحثين الجادين أن يدرسوا هذه العناوين دراسات علمية موثقة.

(٥) إن الاطلاع على كتب السير والتراث الإسلامي الأخرى يجد تفصيلات كثيرة عن كيفية انتشار الإسلام في تهامة والسروات، والوفود التي قدمت من هذه البلاد على الرسول (ﷺ) في المدينة معلنة إسلامها، ثم عودتها إلى بلادها لنشر الإسلام بين أهلها، وهناك أسماء كثيرة ممن دخلوا الإسلام، ثم عينهم الرسول (ﷺ) على أقوامهم في أوطانهم. ودراسة هذا الجانب السياسي والإداري والدعوي من الموضوعات التي تستحق أن تكون عنواناً لبحث علمي موثق. وللمزيد انظر بعض كتب التراث الإسلامي مثل: الطبري، والمسعودي، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، وابن مسكويه، تجارب الأمم، وابن فهد، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، وابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، وياقوت الحموي، معجم البلدان، والأصفهاني، كتاب الأغاني، والنويري، نهاية الأرب، وغيرها.

وهناك ولاية آخرون أرسلوا من عاصمة الإسلام المدينة المنورة، أو من دمشق في عصر بني أمية، أو من بغداد في عصر بني العباس (٦٥٦-١٣٢هـ / ١٢٥٨-٧٤٩م) ليتولوا الولاية، أو القضاء، أو الحسبة وجمع الصدقات في أوطان تهامة والسراة^(١). وشيوخ القبائل لم يختف وجودهم وتأثيرهم في بلادهم وبين سكان عشائرهم، وإنما كانوا على صلوات قوية بكل ما يحدث في ديارهم، ومع كل من يأتي من خارج أرضهم لحكمهم والتعامل معهم ودياً أو رسمياً^(٢).

خامساً: لمحات من الحياة الاجتماعية :

هناك عدد من العادات التي مارسها أهل تهامة والسراة قبل ظهور الإسلام، مثل: التماس النسوة للأطفال الرضعاء بدافع المال، وقد لاحظنا ذلك مع حليلة السعدية من بني سعد في أرض السروات التي ذهبت إلى مكة مع بعض رفيقاتها، وكان نصيبها أن أخذت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، عليه أفضل الصلاة والسلام، من أجل القيام على رضاعته، وبقي (ﷺ) في ديار السعديين بعض الوقت أثناء طفولته^(٣). كما عرف التهاميون والسرويون عادات الكهانة والسحر والشعوذة^(٤)، وكثير من العادات السلبية مثل: النياحة على الموتى، وهناك روايات تذكر وجود هذه

(١) تاريخ الحياة الإدارية في بلاد السراة وتهامة منذ ظهور الإسلام حتى العصر الحديث لم تدرس إطلاقاً، مع أن هذا الجانب الحضاري غني بإحداثه، وما جرى على هذه البلاد من صلوات إدارية وحضارية. ونأمل من أقسام التاريخ في الجامعات الحديثة الموجودة في بلاد تهامة والسراة، من مكة والطائف شمالاً إلى نجران وجازان جنوباً أن تدرس هذا الميدان العلمي المهم، والمسؤولية كبيرة على الأساتذة العاملين في هذه الأقسام، وعلى طالبات وطلاب الدراسات العليا في هذه الأقسام نفسها.

(٢) موضوع شيوخ القبائل والعشائر في أرض السروات وتهامة منذ بداية العصر الإسلامي إلى وقتنا الحاضر تحتاج مئات البحوث والدراسات، حيث كانوا وما زالوا مؤثرين في أوطانهم، وفي صنع القرارات السياسية والإدارية والحضارية في بلادهم، وصلاتهم مع مراكز القوى السياسية في العالم الإسلامي منذ عصر الرسول (ﷺ) وعبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر. وإذا تأملنا في تاريخ بعض الدول والحكومات التي ظهرت في الحجاز أو اليمن أو في الشام أو العراق، أو في مصر وغيرها، نجد أن كثيراً منها كان لها صلوات سياسية وحضارية مع أهل السراة وتهامة، ومع كثير من شيوخها وأعيانها ووجهائها، وكل هذه الموضوعات جديرة بالبحث والدراسة التوثيقية والتحليلية.

(٣) ابن فهد، إتحاف الوري، تحقيق فهم شلتوت، ج ١، ص ٥٧، ٦٢. كتب السير فصلت الحديث عن قصة مولد النبي (ﷺ)، وكيف أخذته حليلة السعدية إلى ديارها في أرض السروات، وماذا حصل له من المعجزات حتى عاد إلى أهله وذويه في مكة المكرمة.

(٤) انظر الجاحظ، رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ٢، ص ١١٥، ١٢٧. وانظر المؤلف نفسه، كتاب الحيوان، ج ٦، ص ٢٠٤.

العادة عند النجرائين وبعضاً من بلاد مذحج ، والحجر ، وغامد وزهران^(١) . وكانوا لا يورثون النساء^(٢) . ومن عاداتهم في جنازتهم أن الشبان يحملون الجنازة ، ويقولون "سلم سلم سلمك الله ، هذا ما وعد الله نعم القاضي" ، ويتداولون النعش إلى الجبانة (المقبرة) ، وهم الذين يحضرون القبر^(٣) .

وإن طالعنا كتب الأدب العربي وجدناها مليئة بالعادات والأعراف الجاهلية مثل: الشجاعة ، والمروءة ، والغيرة ، والنجدة ، مع أن هناك عادات أخرى سلبية ذكرتها بعض كتب التراث الإسلامي مثل: التشاؤم والطيرة ، وسفك الدماء وغارات القبائل بعضها على بعض ، وشرب الخمر ، والزنا والسفاح ، وواد البنات ، والتفاخر والمباهاة ، والتعصب القبلي ، والهجاء وغيرها من الصفات السيئة المدونة في كتب التاريخ والأدب^(٤) . وعند ظهور الإسلام نجد مصادر الشريعة تقر كل ما هو إيجابي ، ويصّب في بناء الفرد والمجتمع ، وتحارب الرذيلة بجميع أنواعها ، والقارئ للقرآن الكريم والتفاسير ، وكتب السنن ، وعلوم الفقه والاجتهاد والقياس يجدها رسمت خطوطاً واضحة للتعاشيش السلمى المدني النظيف ، وحفظت الحقوق لكل إنسان ذكراً أو أنثى صغيراً أو كبيراً مسلماً أو غير مسلم^(٥) .

(١) ابن حبيب ، المنمق ، ص ٢٦٧ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٥ .

(٢) عدم إعطاء المرأة حقها من الميراث عادة ذميمة عند الجاهليين ، وعند مجيء الإسلام ، أعطى كل ذي حق حقه ، وحافظ على حقوق النساء ، وحث على رعايتهن وعدم ظلمهن . وكوني واحداً من بلاد تهامة والسراة فقد رأيت وسمعت خلال الخمسين عاماً الماضية تكوّن بعض الرجال من إعطاء النساء حقوقهن من الميراث ، ويلجأ البعض إلى التحايل عند القسمة فيقولون : كل بنت تعطى حقها مع أخيها ، أي فلانة مع فلان ، وهكذا تقسم التركة أو الميراث ، فإذا كانوا مجموعة إخوان وأخوات يقسم الميراث باسم الرجال ، ويوضع مع كل رجل واحدة من الأخوات ، وإذا طلبت إحداهن قسمها بشكل مستقل فإنها تحارب وتقاطع ، وكم من النسوة اللاتي ذهبن إلى المحاكم وأخذن حقوقهن من الميراث ، ومن ثم قاطعها الأقارب من الرجال كالإخوان وغيرهم . هذا ما شاهده الباحث وعرفه وقرأ شيئاً من هذه القصص في بعض الأوراق والوثائق المحلية .

(٣) انظر ابن المجاور ، مطبعة بريل ليدن (١٩٥١م) ، ج ١ ، ص ٢٥ . والقيام على خدمة الجنازة من قبل الأحياء مازالت ممارسة عبر أطوار التاريخ الإسلامي حتى وقتنا الحاضر .

(٤) للمزيد انظر: ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ص ١٥٩ ، المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ص ٩٢ ، ١١٨ ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، (طبعة بيروت ، دار إحياء العلوم ، دت) ، ص ١٤٤ .

(٥) شرائع الإسلام واضحة وجليّة ، وإذا ظهر في المجتمع الإسلامي عادات وتقاليده سلبية فذلك معارض للمبادئ والقوانين الإسلامية ، والدارس للمجتمعات الإسلامية منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا الحاضر يجدها مليئة بالأعراف والتقاليد التي لا تتوافق مع شرائع الإسلام .

ومن ملامح الحياة الاجتماعية في أرض السراة الزواج وعلاقة المصاهرة بين بعض العشائر السروية^(١)، مثل: غامد وزهران، وعامر بن صعصعة، وثقيف، والحارث بن كعب، وختعم وغيرهم مع أهل الحجاز، ومن أمثلة ذلك تزويج أبي أزيهر الدوسي سيد أهل السراة بناته لرجال من أهل مكة، فزوج ابنته عاتكة لأبي سفيان، وزينب لعتبة ابن ربيعة، ثم خلف عليها أبو حبيب بن مهشم، كما زوج بنتاً أخرى للوليد بن المغيرة ابن عبد الله المخزومي^(٢)، ولكنه أمسكها عنه وسبب ذلك: "أنه كان رجلاً غليظاً على النساء يضربهن، فحبسها عنه وأمسك المهر"^(٣)، وفي رواية: أنها كانت أهديت إليه قال: "أنا أشرف أم أبوك؟ قالت لا بل أبي سيد أهل السراة"^(٤)، وأن العرب يصدرون عن رأيه وإنما أنت سيد بني أبيك، وفيهم من ينازحك الشرف فلطمها، فهربت إلى أبيها، فحلف أن لا يراها، وأمسك المهر"^(٥).

من هذه الرواية نستنتج أموراً عديدة، هي: (١) مكانة المرأة في المجتمع السروي وبخاصة في العصر الجاهلي، ومن ذلك ما فعله أبي أزيهر عندما رفض إعادة ابنته بعدما تعرضت للإهانة على يد زوجها الوليد. (٢) المهر كان من الأشياء التي تدفع للمرأة السروية كحق من حقوقها مقابل قبولها بالزواج. (٣) كانت المرأة تتمتع بالعديد من الحقوق في ظل المجتمع السروي الجاهلي، وكانت أحياناً كاسلعة تهدى وتباع إن صحت الرواية السابقة. (٤) كان أهل السراة يدخلون في أحلاف مع القبائل الأخرى ومن بينها القبائل الحجازية. وهناك نساء أخريات من أرض السراة تزوجن في قريش، مثل: قلابة بنت الحارث، من جدات النبي (ﷺ) لأمه، كانت أمها هند بنت يربوع من ثقيف، وأم ميمونة زوجة النبي (ﷺ) كانت من جرش، وأسماء بنت عميس الخثعمية كانت عند جعفر بن أبي طالب ثم خلفه عليها علي بن أبي طالب^(٥). والأمر لم يقف عند

(١) الزواج من العادات الاجتماعية التي مارسها أهل تهامة والسراة خلال العصور الجاهلية والإسلامية. وكتب التراث مليئة بالمعلومات التي فصلت الحديث عن أنواع الزوجات، والصلوات والمصاهرات بين الأسر والعشائر، والأعراف والعادات التي تمارس في مناسبات الزواج. وهناك أشعار كثيرة في العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج وبعده، وفي أنساب النساء والأسر والقبائل وغيرها.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٢٦. وللمزيد انظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب. ص ١١٨، الزمخشري، ربيع الأبرار، ج ٢، ص ٨٠٩-٨١٠، الجاحظ، الرسائل، ص ٣١٢.

(٣) انظر: ابن حبيب، المنمق، ص ٣٢٥، ٣٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٦.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٤٧.

المصاهرة بل تعداه إلى ما يعرف بزواج السبي ، ومن ذلك زواج الصمة بن بكر^(١) من ريحانة أخت الفارس عمرو بن معد يكرب ، والتي كانت قد وقعت في الأسر عندما أغار بهوازن على بعض قبائل السراة^(٢) . وأنجب منها أبناءه : دريد ، وعبد الله ، وخالد ، وقيس^(٣) ، وكلهم كانوا فرساناً في الجاهلية ، ومن هذه الرواية نستنتج أن ذلك النوع من الزواج كان معروفاً في السروات في عصور ما قبل الإسلام^(٤) .

وصور الحياة الاجتماعية كثيرة ومتنوعة ، ولا تخلو كتب التراث من شذرات عن طبقات المجتمع التهامي والسروي في الجاهلية والإسلام ، والعنصر العربي القحطاني والعدناني كان السائد في عموم هذه البلاد ولا يخلو من عناصر إفريقية وتركية وهندية لكن نسبهم قليلة ويعملون غالباً في المهن الوضيعة . كما عرف سكان السراة وتهامة المنازل المبنية من الحجارة والطين ، أو من الأخشاب والقش وسعف النخل ، وكثير منهم وبخاصة أهل البادية استخدموا بيوت الشعر والخيام ، أما ألبستهم فأهل المدن عرفوا كثيراً من الألبسة وأدوات الزينة التي تصدر إلى أسواقهم من خارج بلادهم وخاصة من مدن الحجاز الرئيسية . والأطعمة والأشربة تنوعت فأهل القرى والمدن والحواضر امتلكوا حبوب الحنطة والذرة والشعير التي تزرع في مزارعهم ، كما حصلوا على لحوم الضأن والأبقار والإبل وشربوا من ألبانها وزبدها ، وهناك صفحات في كتب التاريخ واللغة والجغرافيا والرحلات أشارت إلى كثير من الأطعمة والأشربة التي عرفها التهاميون والسرويون ، بل كانوا يصدرون كثيراً من منتوجاتهم الزراعية أو بعض من حيواناتهم إلى أسواق الحجاز فتباع على أهل الحرمين أو يقاضونها بسلع أخرى مثل المنسوجات والملاحف وبضائع أخرى عديدة^(٥) .

وإن دققنا النظر في بعض المصادر الإسلامية ، مثل: كتب السنن ، والفقهاء الإسلامي ، ومعاجم اللغة العربية ، والدواوين الشعرية وبعض الكتب الأدبية ، وكتب الجغرافيا والرحلات ، والمعاجم الجغرافية فإننا سوف نجد لمحات عن فنون أهل السروات وتهامة

(١) وهو الحارث بن بكر بن علقمة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر من هوازن وهو سيد بني جشم وفارسهم . انظر ، ابن حبيب ، المحير ، ص ١١٤ .

(٢) ابن حبيب ، المحير ، ص ١١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) إن الباحث في كتب التاريخ الحولية والمكانية ، ومصادر الأدب واللغة ، وبعض الموسوعات ، والمعاجم الجغرافية وكتب الرحلات يجد فيها تفصيلات كثيرة عن بعض الصور الاجتماعية التي عرفها ومارسها أهل السراة وتهامة في العصر الجاهلي وعبر عصور الإسلام المختلفة .

الاجتماعية مثل: بعض الأهازيج ، والعبارات اللغوية التي تشتمل على بعض الأحاجي والحكم والأشعار ، والرقصات ، والأمثال الشعبية . كما لا تخلو هذه المصادر من صور اجتماعية في مناسبات الزواج ، والأعياد ، والمآتم ، واستقبال الضيوف ، وتوديع المسافرين ، والأحلاف ، والسماية ، وإغاثة الملهوف ، ومساعدة الضعيف والمحتاج ، وكتب التاريخ العامة تحتوي على تفصيلات عن عادات الحروب والغارات ، وأخذ الثأر ، ونصرة المظلوم ، وحماية الأعراس والممتلكات . وكتب الأدب حفظت كثيراً من الأشعار الجاهلية والإسلامية التي تُبرز حياة القبائل والأفراد والبوادي والقرى الاجتماعية ، وما يدور بين أهلها من ممارسات تعكس صوراً من المدح والثناء ، أو المفاخرة ، أو الهجاء ، أو الحنين ، أو الغزل ، أو الرثاء وغيرها^(١) .

والمصادر التراثية حفظت معلومات متنوعة عن عادات الناس في ممارسة مهنتهم الاجتماعية والاقتصادية والحضارية ، بل أشارت إلى دراية السريين والتهاميين بأعمالهم وعلاقاتهم بمن جاورهم من القرى والحواضر والبلدات ، وكذلك تعاونهم وتكاتفهم الأسري والاجتماعي أثناء كسب أرزاقهم في مهن الرعي والصيد ، والزراعة ، والتجارة وغيرها^(٢) .

سادساً : جوانب من الحياة العلمية والثقافية :

عرب السراة وتهامة لم يكونوا خالي الوفاض من الثقافة والمعرفة في العصر الجاهلي، بل عندهم من يمارس الطب ، والكهانة ، والسحر والشعوذة ، وكان فيهم الحكماء والعقلاء من علية القوم وعامة المجتمع . ومصادر التراث الإسلامي تذكر أمثلة كثيرة عن أدبهم ولغتهم فزيهم الشعراء الفحول مثل: شعراء الصعاليك في أرض السروات كالشنفرى ، وتأبط شراً ، وسليك بن السلكة وغيرهم^(٣) . وإذا درسنا كل

(١) من يطلع على أشعار ودواوين الشعر قبل الإسلام وبعده يجدها مليئة بالأمثلة والصور التي تدور في فلك هذه النقاط الأنف ذكرها أعلاه .

(٢) بلاد السراة وتهامة بحاجة شديدة إلى دراسة تاريخها اجتماعياً منذ العصر القديم وخلال العصور الإسلامية المختلفة . ونأمل أن نرى بعضاً من طلابنا الجادين أو الأساتذة المؤرخين المنصفين فيدرسوا هذا الميدان الواسع والحدير بالبحث والتدقيق .

(٣) من يدرس مصادر الأدب واللغة المبكرة مثل: كتب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، والمعارف ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، ومؤلفات الجاحظ ، والثعالبي ، وكتاب العقد الفريد لابن عبدبريه ، ومعجم اللغة ، كلسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري ، وتاج العروس للزبيدي فإنه سيجد فيها مواد علمية كثيرة تعكس حياة سكان الجزيرة العربية والثقافية ، وبلاد تهامة والسراة ورد ذكرها بشكل جيد في هذه المصادر المبكرة .

قبيلة مستقلة وجدنا فيها الكثير من الشعراء ، فهناك العشرات منهم في قبائل مذحج ، والأزد ، وختعم ، وبجيلة ، وهوازن وثقيف وغيرها^(١) .

وعند ظهور الإسلام وانتشاره داخل الجزيرة العربية وخارجها ظهر شعراء أثروا وتأثروا بالتاريخ السياسي والحضاري الذي عاشته الدولة الإسلامية في عصور الرسول (ﷺ) والخلافة الراشد ، وخلفاء بني أمية وبني العباس^(٢) . وهناك شعراء أزديون ومذحجيون وبجليون وختعميون وغيرهم دخلوا الإسلام وناقحوا عن الدين الإسلامي في أوطانهم ، وفي مدن الحجاز الرئيسية ، ومنهم من هاجر إلى الأمصار الإسلامية في الشام والعراق وبلاد فارس ومصر وشمال إفريقيا والأندلس وانخرطوا في الحياة الاجتماعية والحضارية ، وأسهموا في بناء الدولة الإسلامية^(٣) . ولم يكن الشعر هو العلم الوحيد الذي شارك فيه السرويون والتهاميون ، وإنما عمل بعضهم في تعلم وتعليم العلوم الشرعية والأدبية واللغوية^(٤) . وإذا تتبعنا تاريخ أهل السراة وتهامة خلال القرون الإسلامية الأولى وجدنا فيهم من ذهب إلى المدينة المنورة أو عواصم العالم الإسلامي ، فتعلموا شرائع الإسلام وكثيرا من العلوم اللغوية والأدبية ثم عادوا إلى أوطانهم فأقاموا فيها وعملوا على تنوير وتعليم أهلها ، بل منهم من بذل جهودا طيبة في القضاء بين الناس ، وتقسيم موارثهم وعقد أنكحتهم ومساعدتهم على أمور دينهم^(٥) .

- (١) ظهر في هذه القبائل شعراء جاهليون وإسلاميون كثيرون ، ويوجد عدد من الدواوين الشعرية التي طبعت ونشرت عن شعراء من هذه القبائل ، وماتزال كتب الأدب واللغة والتراث الإسلامية المبكرة مليئة بالأشعار المتنوعة في موضوعاتها وأهدافها ، وجميعها تخص أدب وشعراء ينتمون لهذه الأوطان السروية والتهامية . ومن أمثلة أولئك الشعراء : أمية بن أبي الصلت ، ودريد بن الصمة ، وأنس بن مدرك الخثعمي ، وحاجز الأزد ، والأفوة الأودي ، ولقيط بن يعمر الأيادي ، وحُميد بن ثور الهلالي وغيرهم . للمزيد انظر كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار للمخشي .
- (٢) القارئ للأحداث السياسية في بداية الدولة الإسلامية يلحظ انتشار الإسلام من المدينة إلى أصقاع شبه الجزيرة العربية ، وما اكب ذلك من حروب وسرايا وغزوات ، وما جاء في حروب الردة ، ثم تنظيم الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، ثم وقوع الفتنة الكبرى ومقتل الخليفة عثمان ، ثم الحروب التي جرت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، ثم خروج الخلافة من الحجاز إلى الشام ثم إلى العراق . وجميع هذه الأحداث أثرت على أصحاب الفكر والشعر من التهامين والسرويين فانخرط بعضهم في تلك الأحداث ، وقالوا وجهات نظرهم وما يؤمنون به من خلال شعرهم وأدبهم وحكمهم . وموضوع دور السرويين والتهاميين النقائلي والعملي والفكري في تلك الفترة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق البحث والتدوين .
- (٣) تاريخ الحضارة الإسلامية واسع ومتشعب في أنحاء العالم الإسلامي خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيلة . وكان لأهل تهامة والسراة نصيب من المساهمة في الحياة العلمية والثقافية والحضارية خارج شبه الجزيرة العربية . وهذا الموضوع أيضا جديد ومهم ويستحق من يدرسه . ونأمل من المؤرخين الجادين أن يتولوه بالبحث والدراسة .
- (٤) هناك أعلام كبار ساهموا في البناء الثقافي والحضاري الذي عاشته الأمة الإسلامية في عصورها الذهبية ، أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي عالم العروض المشهور ، والطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية وغيرهما كثير . إن السائح اليوم في أرجاء تهامة والسراة يرى الكثير من الآثار والمعالم الحضارية التي تؤكد على استيطان
- (٥)

وكون لغة أهل السروات هي العربية ، فإننا نجد بعض الدراسات تشير إلى صفاء لغتهم ، فهذا الهمداني يشير إلى أرض السروات من نجران ووادعة شمالاً إلى تقيف والطائف شمالاً ويذكر أن لغتهم فصيحة ، ومن صميم اللغة العربية^(١) . والملاحظ على لغة ولهجات بعض قبائل السراة في الجاهلية والإسلام كخثعم وزبيد مثلاً فهم يحذفون نون (من) الجاره إذا وليها ساكن ، وقد شاعت هذه اللغة في الشعر واستخفها كثير من الشعراء^(٢) . وفي لغة بلحارث بن كعب في نجران يحذفون الألف من (على) الجاره ، واللام الساكنة التي تليها ، فيقولون في على الأرض (علأرض)^(٣) . وفي أسماء الموصل نجد بلحارث بن كعب وبعض عشائر السراة يحذفون نون اللذين ، واللتين في حالة الرفع ، أما تميم وقيس فهم يثبتون هذه النون لكنهم يشددونها^(٤) . وفي لغة أزد السراة يبدلون التتوين في الوقف من جنس حركة آخر الكلمة فيقولون : جاء خالدو ، ومررت بخالدي^(٥) .

وعند بني سعد يضعفون الحرف الأخير من الكلمة ، الموقوف عليها ، إلا إذا كان هذا الحرف همزة ، أو كان ما قبله ساكناً ، فيقولون : هذا خالد ، ولا يضعفون في مثل رشأ وبكر^(٦) . وفي لغة خثعم وبلحارث بن كعب يقلبون الياء بعد الفتحة ألفاً ، فيقولون في إليك ، وعليك ، ولديه : إلاك ، وعلاك ، ولداه ، ومن لغتهم أيضاً إعراب المثنى بالألف

هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام ، وفي عهود الإسلام المختلفة نجد روايات كثيرة تروي حياة أهل هذه البلاد السياسية والحضارية . كما أن صفاء عقائدهم هو السائد منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا الحاضر ، حتى وإن ظهر بينهم بعض الصور السلبية مثل: انتشار السحر أحياناً ، أو وجود بعض الشراكيات وبخاصة في القرون الإسلامية الوسيطة ، إلا أن الغالب على السكان أنهم موحدون مؤمنون بالله عز وجل حتى وإن ساد حياتهم بعض الجهل والقصور. ولا يمكن للعقيدة الصافية البقاء والاستمرار بدون من يرعاها من أهل العلم والثقافة والفكر ، والشيء الذي لاشك فيه أن أهل هذه الأوطان كانوا على صلوات دائمة بالحرمين الشريفين وبعض الرحالة مثل ابن جبير وابن بطوطة وصفوا صلاح نياتهم وعقائدهم عندما كانوا يرتادون مكة ويزورون المسجد الحرام أثناء الحج والعمرة. وأثناء البحث في كثير من كتب التراث وبخاصة كتب التراجم والطبقات، أو كتب البلدان مثل تواريخ مكة والمدينة المنورة وصنعاء فإننا نجد بعض الإشارات التي تذكر أعلاماً يخرجون من بلادهم في أرض السروات إلى الحجاز وبعض الأمصار الإسلامية كي يتعلموا على يد بعض العلماء والمشائخ ثم يعودون إلى بلادهم لنشر التعليم فيها ومحاربة الجهل بين أهلها . وهذا الموضوع لم يدرس دراسة علمية موثقة ، ونأمل أن نرى بعضاً من طلابنا فيتلونونه بالبحث والدراسة والتوثيق .

- (١) انظر الهمداني صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
- (٢) جواد علي ، المنصل في تاريخ العرب (طبعة جامعة بغداد ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ، ج ٨ ، ص ٥٧٨ .
- (٣) المرجع نفسه ، ج ٨ ، ص ٥٧٨ .
- (٤) المرجع نفسه ، ج ٨ ، ص ٥٧٩ .
- (٥) المرجع نفسه ، ج ٨ ، ص ٥٧٩ .
- (٦) المرجع نفسه ، ج ٨ ، ص ٥٧٩ .

مطلقاً ، رفعاً ونصباً وجرأً ، وذلك لقلبهم كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفاً ، فيقولون : جاء الرجلان ، ورأيت الرجلان ، ومررت بالرجلان^(١) .

وأشار بعض العلماء أن في القرآن أكثر من أربعين لهجة عربية ، ومنها : لغات قريش ، وهذيل ، وختعم ، وأزد شنوءة ، وسعد العشيرة ، ومدحج ، وعامر بن صعصعة ، وثقيف ، وهوازن وغيرها^(٢) .

وإذا توقفنا مع فكر أهل السروات ، وجدناهم متأثرين بمعبوداتهم الجاهلية قبل الإسلام ، فكانوا يزورونها ويتبركون بها ويقربون لها القرابين ، ويعتقدون فيها أنها تنفع وتضر ، وذلك ديدن أهل الجزيرة العربية قبل الإسلام . وبعد ظهور الإسلام تغيرت أحوالهم ، فأصبحوا من أوائل من تخلى عن هذه المعبودات الشركية ، ووجدوا دياناتهم لعبادة رب العباد ، وربما وجد بينهم من يخلط عبادته ببعض الشركيات بسبب الجهل والامية التي كانت منتشرة في أنحاء البلاد ، لكن نسبة أولئك قليلة مقارنة بالموحدين المؤمنين بدين الإسلام . والدارس لكتب التراث الإسلامي وبخاصة في ميادين التاريخ السياسي والعقائدي يجد أنه وصل إلى جنوب الجزيرة العربية بعض العقائد السماوية والوضعية ، كاليهودية ، والنصرانية ، والمجوسية ، والحنفية ، والصابئية ، وفي العصر الإسلامي بعض الفرق مثل : الزيدية ، والإسماعيلية ، والقرامطة ، والإثنى عشرية وغيرها ، وقد سعى القائلون على تلك الديانات والفرق إلى نشر معتقداتهم في بلدان السروات وتهامة ، ونجح بعضهم لفترات قصيرة ، لكنهم لم يستطيعوا ترسيخ أيها من هذه المعتقدات بين التهاميين والسرويين^(٣) .

(١) المرجع نفسه ، ج ٨ ، ص ٥٧٩ . وفي أثناء تجوالي في بلاد السروات وتهامة خلال السنوات الماضية المتأخرة وجدت كثيراً من هذه الأمثلة التي أشار إليها جواد علي عند عرب هذه البلاد في الجاهلية مازالت موجودة يتكلمها بعضهم في بلاد نجران وفي السروات الممتدة من أبها حتى الطائف . وأقول إن علماء اللغة الاوائل بذلوا جهوداً كبيرة في دراسة لغات القبائل في الجزيرة العربية ، لكنهم لم يأتوا على كل اللهجات واللغات ، فهناك لغات مازالت مجهولة وغير مدروسة ، ويوجد اليوم من يتكلمها ويمارسها في الحياة اليومية والواجب على أساتذة اللغة اليوم أن ينزلوا إلى الميدان ويسيروا في الأرض ويخالطوا السكان ويسمعوا لغاتهم ، ثم يدرسونها دراسة علمية موثقة . والإمكانات والظروف اليوم أفضل وأسهل مما كانت عليه عند العلماء الأوائل ، وبالتالي فالمسؤولية على علماء اليوم وأصحاب الاختصاص أكبر وأعظم .

(٢) كانت لغة أهل السروات وتهامة من أنقى اللهجات ، وهكذا كان وضعها منذ العصر الجاهلي وعبر عصور التاريخ الإسلامي ، وبالتالي فهم أصحاب فكر وشعر وأدب وثقافة . والسائح اليوم في أرجاء هذه البلاد يشاهد ويسمع الكثير من المفردات والعبارات عند عوام الناس ، وعند فحصها والتأمل في معانيها يجدها لغة عربية فصيحة ، ويوجد عنها شروح وتصيلات في معاجم اللغة العربية .

(٣) إن دراسة تاريخ الفكر والعقائد في السروات قبل الإسلام وبعده من الموضوعات المهمة وتستحق أن تدرس في عدد من البحوث والدراسات العلمية . ونأمل من جامعات السعودية الجنوبية أن تنشئ بعض المراكز البحثية التي تقوم على إنجاز دراسات علمية . كما أن الباحث في مكونات كتب التراث الإسلامي يجد أن مؤلفات دونت

سابعاً: شذرات من التاريخ الاقتصادي :

بلاد السروات وتهامة غنية بثرواتها ومواردها الاقتصادية . وفي الصفحات التالية نذكر بعضاً من الصور الاقتصادية التي أشارت إليها بعض المصادر المبكرة ^(١) . وهي على النحو التالي : المعادن ، كالذهب ، العسجد والتبر . والفضة : وهي اللجين بلغة حمير ، وهي الورق والأوراق ، وقالت طريفة الكاهنة لقومها من الأزدي يوم تفرقهم " من كان يحب الثياب الرقاق ، والخيول العتاق والذهب والأوراق فليلق بالعراق " ^(٢) . والرصاص ، ويوجد في شمال وشرق اليمن وجنوب نجران ، والحديد يوجد في أماكن متفرقة من اليمن والسروات ^(٣) .

ومن أماكن التعدين : الفضة بأرض الهجيرة من قرى وادي تثليث القديمة ، ولونه أبيض ، كما يوجد في بيشة وجنوب نجران بعض معادن الفضة والرصاص . ومعادن الذهب ضمن معدن عشم من أرض كنانة في تهامة ، وذهبه أحمر جيد ، ومعادن ضنكان من بلاد الأزدي وكنانة وهو دون معدن عشم ، ومعادن في أرض بني سابقة ما بين نجران وصعدة ، ومعادن في أرض خولان بالقرب من الخصوف من بلاد حكم في أرض جازان ^(٤) . ومعادن العقيق بين نجران والفلج ^(٥) ، ومعادن المخلفه يقع على مقربة من تهامة والجبال

في جوانب علمية وثقافية ومعرفية تتعلق ببعض الموضوعات في تاريخ وحضارة تهامة والسراة ، وكثير من هذه الكتب لم تصلنا ، لكنها مذكورة عند المتقدمين ، ومن تلك المؤلفات : أخبار ثقيف ، ومن تزوج في ثقيف من قريش لعلي بن محمد المدائني . وكتاب إيراد الأزدي ، لمحمد بن المتنبّي أبو عبيدة البصري . وكتاب جمهرة أنساب الحارث بن كعب وأخبارهم للحسن بن الحسين السكري . وكتاب تفرق الأزدي ، وأخبار عمرو بن معد يكرب الزبيدي لهشام بن السائب الكلبي ، وكتب أشعار بجيلة ، وأشعار الأزدي ، وأشعار بني سعد ، وأشعار فهم وعدوان ، وأشعار الحارث بن كعب . للمزيد انظر : يا قوت الحموي ، معجم الأدياء ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ، ٤٨١ ، ٥٩٦ ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ .

(١) إن الباحث في تاريخ الصيد والرعي والجمع والالتقاط ، والزراعة والتجارة والحرف الصناعية التقليدية في بلدان تهامة والسروات سيجد شذرات ولحاح كثيرة في كتب التراث الإسلامي تذكر انخراط سكان هذه البلاد في معظم هذه النشاطات الاقتصادية منذ عصور ما قبل الإسلام و عبر أطوار التاريخ الإسلامي . وهذه الموضوعات مهمة وجديدة في أبوابها ويجب على المؤرخين والباحثين الجادين في جنوبي البلاد السعودية أن يتولوها بالبحث والدراسة .

(٢) الهمداني أفضل من تحدث عن معادن شبه الجزيرة العربية ، فذكر مواطن عديدة في بلاد تهامة والسراة الممتدة من حواضر اليمن الرئيسية إلى الطائف ومكة المكرمة . انظر كتابه : الجواهرتين العتيقتين ، ط (الرياض) ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) قام بنشره حمد الجاسر ، ص ٦٠ ، ٦١ ، ٢٦١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

المطلة عليها^(١). ومعدن وادي العقيق من روافد ووادي تربة ويعرف قديماً باسم العقيق اليماني وحديثاً بعقيق غامد^(٢)، ومعدن بنات حرب ويوجد هذا المعدن في بيشة^(٣).

ومعدن الزمرد: يوجد بأرض زبيد إلا أنه لما ظهر بها وضع عليه أهل البلاد رداً من الحجارة والتراب خشية أن تعيرهم القبائل وتسميهم بالحكاكين، أي الذين يستخرجون المعادن من الأرض^(٤).

ومن الأشجار التي تستخدم أخشابها في التعدين، العرعر الأحمر، والطلع وتوجد بكثرة في أرض السروات^(٥). ومن الأشجار المثمرة الأخرى: الرمان، والتفاح، والمشمش فقد غرست في مناطق عرفت بالخصب ووفرة المياه وعاش أهلها على الزراعة والاستقرار مثل مدينة الطائف مصيف أهل مكة منذ الجاهلية، وبلدان عديدة في السروات واليمن^(٦)، وأكثر ثمارها الزبيب، وهي طيبة الهواء، وأكثر فواكه مكة منها^(٧)، وهي ذات مزارع ونخيل وأعناب وموز وسائر الفواكه^(٨). والنخل في بيشة وتربة ورنية ونجران. والكروم: وهو العنب ومنه العنب الجرشي وهو عنب طيب يقول علماء اللغة هو أطيب العنب كله وهو أبيض ويميل إلى الخضرة^(٩). والتين، والرمان، والسدر^(١٠)، وأشجار ونباتات أخرى^(١١).

ومن الثروة الحيوانية: الإبل، وقد اشتهرت قمم السروات وأجزائها الشرقية بالإبل، وكانت جرش مشهورة بإبلها الجرشية. كما عرف السرويون الماشية (الضأن والماعز)، فكانت موجودة بكثرة، وكذلك الأبقار والحمير، وكثير من الطيور الأليفة مثل: البط، والدجاج، والحمام. وتوجد الحيوانات الوحشية في عموم أرض تهامة

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٢.

(٦) جواد علي، المفصل، ج ١، ص ١٩٢. ٢٠٨.(٧) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٢٤.(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٩.(٩) جواد علي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٩.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٧٤، ٧٥.

(١١) للمزيد عن أشجار ونباتات بلاد تهامة والسراة انظر: كتاب النبات للدينوري في عدة مجلدات. وهذا المصدر فصل الحديث في نباتات هذه الأوطان السروية فذكر اسم كل نبات أو شجرة وأهميتها وما ذكر فيها من الفوائد وما قيل عنها عند بعض الشعراء القدماء.

والسراة ، ومن تلك الحيوانات : الأسد ، والنمر ، والذئب ، والضبع ، والفهد ، والنيص ، والثعالب ، وكثير من الزواحف الخطيرة والسامة^(١٢) .

ومن حرف السرويين والتهاميين الزراعة ، وتشير بعض المصادر اعتناء الجنوبيين بزراعة النخيل ، وكانت نجران وبيشة وتربة من أهم المناطق المشهورة بالتمور الجيدة . كما مارس أهل الطائف وبلاد السراة الممتدة من نجران إلى بلاد غامد وزهران زراعة الحنطة ، والذرة ، والشعير ، والبقوليات . وهناك الكثير من الأشجار المثمرة مثل : التين ، والخوخ ، والمشمش ، والعنب ، والرمان ، والتفاح ، والبرشومي (التين الشوكي) ، وخضروات أخرى عديدة ، كالكوسة ، والباذنجان ، والفاصوليا ، والطماطم ، والبطاطس ، والنعناع ، والحبق ، والريحان ، والبرسيم ، والملوخية وغيرها^(١٣) .

وهناك حرف وصناعات يدوية أخرى مارسها السرويون والتهاميون مثل : الدباغة والخرازة ، والصباغة والخياطة ، والصياغة ، ومعالجة المعادن (الذهب والفضة) ، وصناعة الأدوات الحديدية ، والصناعات الفخارية والحجرية ، وممارسة مهن الرعي ، والصيد ، وجمع الحطب ، وغيرها من الحرف والصناعات التي يحتاجونها في حياتهم اليومية^(١٤) .

(١٢) للمزيد انظر ابن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق مصطفى السقا ، وحسن نصار (طبعة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) ، ج ١ ، ص ٢٤ ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة وسكانها وما بنيت عليها من الأشجار (مكتبة الخانجي بمصر) ، ص ٤١٧ ، ٤١٩ ، جواد علي ، المفصل ، ج ٧ ، ص ١٤ ، ٦٧ ، ١١٥ .

(١٣) مهنة الزراعة من الحرف الرئيسية التي مارسها أهل تهامة والسراة ، ولهم طرق وأساليب عديدة في تسوية الأرض وزراعتها ، ثم حصاد المحاصيل الزراعية ودرسها وخزنها . وقد أطلعت على عشرات الوثائق التي تصور تاريخ الزراعة في هذه البلدان منذ القرون الإسلامية الوسيطة إلى وقتنا الحاضر . ويوجد في هذه الوثائق التاريخية مادة علمية جيدة تستحق البحث والدراسة . ونقول إن تاريخ الزراعة في هذه الأوطان لم يدرس منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الباب العلمي الهام والجدير بالبحث والدراسة . للمزيد من التفصيلات في بعض المصادر التي أشارت إلى مهنة الزراعة في أرض تهامة والسراة وما تميزت به من مزروعات ومحاصيل زراعية انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٦٠ ، ٣٦١ ، عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة (مكتبة الخانجي) ، ص ٤١٧ ، ٤١٩ ، ابن حبيب ، المنطق ، ص ٢٠١ ، ابن سعد ، الطبقات ، مج ١ ، ص ٢٦٦ ، البكري ، معجم ما استتجم ، ج ٤ ، ص ١٢ ، ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٥١ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢٩ ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ، ج ٣ ، ص ١٠ ، ج ٥ ، ص ٢٦٨ ، ابن الجوار ، تاريخ المستنصر ، ج ١ ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٢ . القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت ، دار صادر ، د.ت) ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(١٤) كتب التراث مثل : معاجم اللغة العربية (لسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي) ، وبعض كتب الجغرافيا والرحالة : كالهمداني ، وابن الجوار ، والبكري ، وياقوت الحموي ، وبعض كتب التاريخ العامة كالطبري ، والمسعودي وابن الأثير وغيرهم أشاروا إلى بعض المهن والصناعات التي مارسها سكان شبه الجزيرة العربية ، وبلاد تهامة والسراة جزء رئيسي في هذه البلاد العربية . للمزيد انظر ، جواد علي ، المفصل ، ج ١ ، ص ٢٢١ ، ج ٧ ، ص ٥٢٧ . كما يوجد هناك مئات الوثائق غير المنشورة التي أشارت إلى شيء من هذه الصناعات والحرف عند أهل تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة .

أما حرفة التجارة في بلاد السروات وتهامة، فكانت تمارس في أنحاء هذه البلاد^(١). والدارس لمؤهلات الحياة التجارية عند السرويين والتهاميين يجدها متوفرة من خلال غنى أرضهم الزراعية، وثرواتهم النباتية والحيوانية، واحتوت بلادهم على بعض المعادن النفيسة. كما أنها بلاد تربط بين اليمن والحجاز، وتقع أجزاءها الغربية التهامية على ساحل البحر الأحمر الشرقي، فهي ذات موقع استراتيجي، وتمر من جبالها وسهولها وسواحلها طرق رئيسية تصل ما بين اليمن والحجاز، وفيها أسواق تجارية قديمة مثل سوق عكاظ في الطائف، وسوق حباشة في تهامة سرورات عسير وغامد وزهران^(٢). ناهيك عن أسواقها الأسبوعية فلا تخلو عشيرة أو قبيلة من سوق أسبوعي يمتلئ بالباعة والتجار الذين يفدون إليه من كل مكان^(٣). والسائح في بلدان السراة وتهامة والوقوف على بعض الطرق والأسواق الأسبوعية القديمة، ثم التأمل في المدرجات الزراعية، وأماكن التعدين القديمة يتأكد له أن هذه البلاد كانت غنية بثرواتها ومواردها الاقتصادية والتجارية^(٤).

- (١) انظر بحثاً علمياً تفصيلاً عن النشاط التجاري في تهامة والسراة في العصور الإسلامية المبكرة والوسيلة. ومادة هذه الدراسة مستقاة من مصادر وكتب تراثية عديدة. غيثان بن جريس "ملاح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة". قدمت هذه الدراسة في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ٢٥٠-٢٧/ شعبان ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ونشرت في كتاب: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، حصاد رقم (٨): (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ١٥٧-٢٢٢. كما نشرت في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة (١-١٠ق: ١٠هـ/ ٧ق-١٦م). (الرياض: مطابع العبيكان (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م) ج ١، ص ٣٣٥-٤٢٢.
- (٢) لمزيد من التفصيلات عن سوق عكاظ وحباشة، انظر: عدد من المصادر مثل: ابن حبيب، المجبر، ص ٢٦٧، الأصفهاني، الأغاني (دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ)، ج ٢، ص ٦٢، الزبير بن بكار، جمهرة أنساب قریش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة، دار العروبة، ١٩٦٥م)، ص ٣٧١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٦٨، ابن الجاور، تاريخ المستبصر، ج ١، ص ٢٧، ٢٢٠.
- (٣) لمزيد من التفصيلات انظر: عرام السلمي، أسماء جبال تهامة، ص ٤١٧-الهمداني، كتاب الجوهرتين العتيقتين، ص ٨٧، ٨٥، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٨٢، ٣٢٨. الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ج ١، ص ٢٨، البكري، المسالك والممالك (بيروت، دار الكتب)، ج ١، ص ٢٧٨، الجاحظ، التبصير بالتجارة، (بيروت: دار الكتب، ١٩٨٣م) ص ٢٥، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٦.
- (٤) هذا ما عرفته وشاهدته في أرض تهامة والسراة وأنا اتجول في مناكبها منذ أربعين عاماً، دارساً ومتأملاً وجامعاً لأدبها وتراثها وتاريخها وحضارتها. وإذا كانت بعض كتب التراث الإسلامي أشارت إلى صور وشذرات من تاريخها الاقتصادي فإنها لم توف هذه الأوطان حقها، وما زال الكثير من تاريخها الاقتصادي والحضاري مفقوداً، وتأمل من الدارسين والمتخصصين في علوم النقوش والآثار أن يبحثوا ويدرسوا تاريخها الأثري لعلنا نطلع على شيء من تاريخها الضائع الذي لم نجد في المصادر التراثية التقليدية.